جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الأرشيف والمكتبة الوطنية
National Library and Archives

قراءات في كتب جديدة

04 مايو 2023

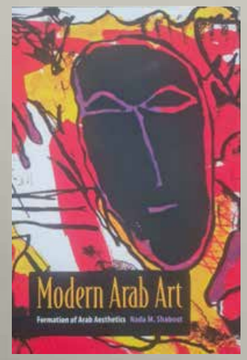

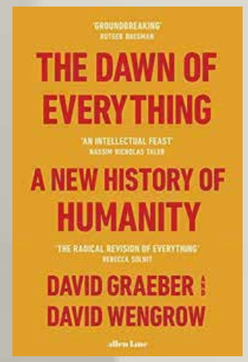

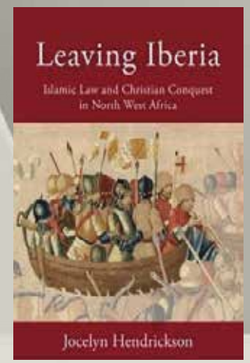

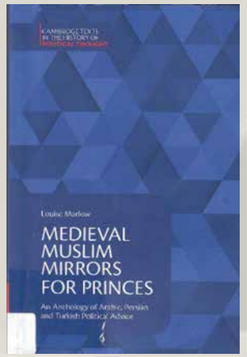

في الأعداد القادمة

إصدار: مكتب الاتصال المؤسسي بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
بالتعاون مع: الأرشيف والمكتبة الوطنية

MBZ university for humanities mbzuh

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية جامعة حكومية في إمارة أبوظبي. تتمتع بالشخصية الاعتبارية المستقلة، والأهلية القانونية كاملة التصرف، وذلك بموجب قانون الإنشاء رقم: 20 لسنة 2020.

تهدف الجامعة إلى دعم مسيرة التنمية والتطوير والبحث العلمي، عن طريق طرح برامج أكاديمية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفية؛ لنيل درجة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه؛ لتكون مركزًا أكاديميًّا مرموقًا على مستوى العالم، في مجال العلوم الإنسانية والإجتماعية والفلسفية. وتسعى بشكل خاص إلى تقديم برامج أكاديمية متميزة في اللغة العربية وآدابها، وفي الدراسات الإسلامية بفروعها؛ بهدف تقديم الإسلام والثقافة العربية بطريقة حضارية وإنسانية، تقوم على نشر فضائل التسامح والمحبة واحترام حقوق الانسان، وإعلاء قيم الاعتدال والوسطية والانفتاح على ثقافات وشعوب العالم المختلفة.

وفي سبيل ذلك تسعى الجامعة إلى تمكين الخريجين من امتلاك القدرة على المبادرة، والإبداع والتفكير الناقد، وبث الروح الإيجابية، والانتماء للوطن، وترسيخ القيم التي تقوي الأواصر الاجتماعية، وترسخ التوازن النفسي والفكري والمادي؛ ليكون المجتمع الإماراتي منارةً علميةً، وأنموذجًا عالميًّا مؤثرًا في التوجه العالمي، وتحقيق نموذج الانفتاح على العالم بعقلية مبدعة، وقيم إنسانية وتعايش فعلي، وتعاون بناء لخير البشرية.

تقع جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية في مدينة أبوظبي، ولها فرع في إمارة عجمان. وتسعى حاليًّا لافتتاح فروع أخرى داخل الدولة وخارجها.

Mohamed Bin Zayed University for Humanities,
Al Muroor Street, P.O.Box 106621, Signal 23,
Abu Dhabi / 02 499 9000

Sheikh Maktoum Bin Rashid Street,
Mailbox 26262, Ajman, UAE / 06 711 9000

info@mbzuh.ac.ae
www.mbzuh.ac.ae

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES

الأحداث

19
احتفاء باليوم العالمي للشعر
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
تنظم الملتقى الشعري الثاني

20
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
تقدم برنامج "طموح" التلفزيوني

مراجعات الكتب

تطور المعرفة:
إعادة التفكير في
العلم.
و ماهو
الأنثربوسين ؟
10

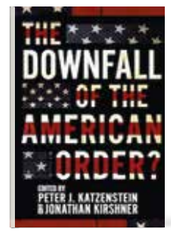

مصائر النظام
العالمي الأمريكي
13

العالم لن يعود
كما كان
16

الديانات
الإبراهيمية:
مُقدِّمة
قصيرة جدًا
22

التخلّي عن
المهمّة الكبرى
أو دواعي
استقالة البابا
27

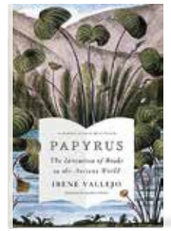

البرديات:
ظهور الكتب
في العالم القديم
30

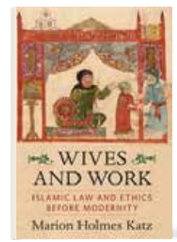

الزوجات والعمل
المنزلي
الفقه الإسلاميّ
والأخلاق قبل
الحداثة
34

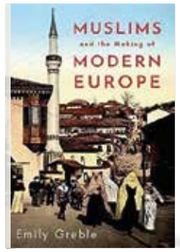

المسلمون
ونشوء أوروبا
الحديثة
37

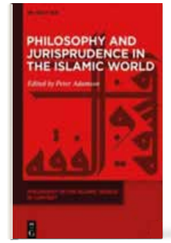

الفلسفة والفقه
في العالم الإسلامي
40

سوسيولوجيا
الأسماء
43

الجندر/ النوع:
مفهوم ونظريات
45

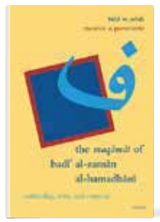

مقامات بديع
الزمان الهمذاني
47

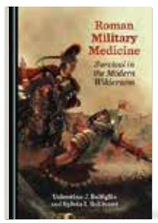

الطب العسكري
الروماني:
الاستمرار في
السهوب الحديثة
50

كتب جديدة
و مراجعات مقتضبة
52

الأرشيف والمكتبة الوطنية
National Library and Archives

مجلة دورية تصدرها
جامعة محمد بن زايد
للعلوم الإنسانية بالتعاون
مع الأرشيف والمكتبة
الوطنية

رئيس التحرير
خليفة الظاهري

مدير التحرير
رضوان السيد

مجموعة التحرير
البدر الشاطري
كريمة المزروعي
محمد السيد

اخراج
خليفة الساعدي
دلال البلوشي
مصعب مشعل

إصدار
مكتب الاتصال المؤسسي بجامعة
محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

بالتعاون مع
الأرشيف والمكتبة الوطنية

Abu Dhabi:
Mohamed Bin Zayed
University for Humanities,
Al Muroor Street,
P.O.Box 106621, Signal 23,
Abu Dhabi

Ajman:
Sheikh Maktoum Bin Rashid
Street, Mailbox 26262,
Ajman, UAE

Phone: + 971 4 388 46 99
Fax: + 971 4 388 47 99
e-mail: mbzuh@ac.ae

www.mbzuh.ac.ae

MBZ university for humanities
mbzuh

التطور العلمي والملفات المتكاثرة في الإنسانيات والأخلاقيات

يأتي هذا العدد- الرابع من نوعه، الذي استغرق إعدادُه وقتًا طويـلا من دافع الشمول والإتقان والإصغاء للاحتياجات والاهتمامات- بعنوان: التطور العلمي والملفات المتكاثرة في الإنسانيات والأخلاقيات.

إنَّ الدراساتِ المتعلقةَ بالتطور العلمي في النصف الأول من القرن العشرين كثيرةٌ كثرةً تنوعِها، فنجد مَنْ اهتمَّ بالعلاقة بين التقدم العلمي والأخلاق، وكتاب (برنال) شهير في ذلك، ومَنْ اهتم بالعلاقةِ بين العلمِ والبيئةِ، والحديثُ مستمرٌ اليوم والغد، وربما بعد الغد عن التغير النوعي الناتج عن اقتصاديات العلوم، ودفعها للتكنولوجيا والذكاء الاصطناعي، وأثر ذلك في إنسانية الإنسان، وهذه الإشكاليات كلها محطُّ اهتمامِ الكتاب الأول من هذا العدد عن حقبة التأثير البشري، أو عصر(الأنثروبوسين).

إنَّ التنوع في هذا العدد ليس مقتصرًا فقط على تنوع الدراسات المتعلقة بالتطور العلمي؛ فبه ما يخصُّ الأوضاعَ العالميةَ من علاقات التعاون والسلام، جديرٍ بالنظر والاهتمام، وكذلك التاريخ: فهناك مراجعةٌ وافيةٌ لكتابٍ في الطب العسكري الروماني ومواريثه حتى اليوم، وكذلك الآدابُ، بما شمله هذا العدد من بحوثٍ، تحملُ في طياتها جديدًا في النقد الأدبي الحديث بصفةٍ عامةٍ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني بصفةٍ خاصةٍ، ولا يمكن أن يخلو العددُ من علاقة الفلاسفة بالفقه عمومًا، وعلاقة الفقهاء والمتكلمين بالنتاج الفلسفي المنطقي خصوصًا، وذلك من خلال مقالةٍ وافيةٍ تلقي أضواءً جديدة.

وإصغاءً لدعوات العقل والإنسانية معًا، كان للتوجهات الغالبة في مسألة (الجندر) نصيبٌ وافرٌ من هذا العدد.

رضوان السيد

المحتوى

(يورغن رين): تطور المعرفة: إعادة التفكير في العلم، وما هو الأنثربوسين؟
قراءة: نورالدين الموادن
يدرس هذا الكتاب النادر مرحلة ترجع جذورها إلى بداية التفكير الإنساني وصولاً إلى عصر الأنثربوسين، وهو تعبير مصطلحي لمرحلة جيولوجية حديثة تشخص مسائل تتعلق بقوة وعمق وامتداد تأثير النظام البشري على النظام الكوني، وتشكل الإطار الحالي الذي عرف فيه التطور الثقافي (الحضاري) الأوج والذروة، لقد غير الإنسان الكرة الأرضية بشكل جذري، وأنتج أدوات مبتكرة نادرة الوجود في الطبيعة استنزفت الطاقة، وبخاصة التحولات الكبيرة في خمسينات القرن العشرين (ص 10)

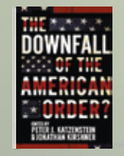

(كاتزينستاين وكيرشنر): مصائر النظام العالمي الأمريكي
قراءة: البدر الشاطري
يقول محرراً الكتاب إنهما يبحثان عن أجوبة لانحدار النظام الدولي الأمريكي الذي شيدته الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية. هذا النظام دخل في مرحلة التردي بعد الحرب الكارثية على العراق وأزمة الرأسمالية عام 2002 وصعود الشعبويات ورمزها دونالد ترامب. يقول كيرشنز كاتب الفصل الأول في الكتاب بعنوان: "كينز والوسطية البعيدة المنال"، إن كينز أعلن انتهاء الرأسمالية غير المقيدة التي قال عنها إنها "غير ذكية، وغير جميلة، وغير عادلة، وغير فاضلة، ولا تجلب المصلحة"، ولكن لا نعرف ماذا سيحل محلها. إنما كما يقول بلايز إن الليبرالية المضمَّنة في مؤسسات تحفظ الرفاه، ما لبثت أن صارت نيوليبرالية أتاحت للأسواق أن تفلت من عقالها. ويعطي سائر كتاب الكتاب وزناً كبيراً لأزمة العالم 2008 التي ضربت الرأسمالية بعمق. وإلى ذلك فإن التيارات الشعبوية أضعفت النظام الليبرالي الدولي. هو كتاب مهمٌ في توثيق صعود وانحدار النظام الأمريكي الدولي من منظور الاقتصاد السياسي (ص 13)

(بادي وفيدال): العالم لن يعود كما كان
قراءة: شفيقة وعيل
منذ قرابة العقدين يصدر الباحثان الاستراتيجيان المعروفان برتران بادي ودومينيك فيدال كتاباً سنوياً في "أوضاع العالم" أو السياسات الدولية في التحليل والاستنتاج. لكن تحت وطأة كورونا وأزمات الاقتصاد العالمي والحرب على أوكرانيا، جاءت المقاربة الجديدة لحالة العالم (2022) شاملة عبر عشرين مقالاً لباحثين سياسيين واستراتيجين عالجوا معظم المشكلات العالمية 2021-2022. تركز كل المقاربات على "اللاتماثل" أي أنه لا ينبغي القياس على الحرب الباردة وظواهرها ولا على التاريخ فالتاريخ لا يعيد نفسه، فربما كان الوضع اليوم يشبه أن يكون حرب العولمة الأولى، هي مراجعة لأوضاع العالم تستحق النظر والاعتبار (ص 16)

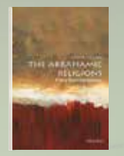

(تشارلس كوهين): الديانات الإبراهيمية، مقدمة قصيرة جداً
قراءة: حيدر حسين
يدرس الكتاب الصغير الفكرة المؤسسة في دياناتٍ ثلاثٍ هي اليهودية والمسيحية والإسلام. فالديانات الثلاث من خلال كتبها المقدسة تنسب نفسها إلى إبراهيم الذي دعا لعبادة الإله الواحد خلال الألف الثالث قبل الميلاد على الأرجح. يبحث المؤلف مسائل نشوء كل تقليد ديني على حدة، والعلاقات بالتطورات السياسية في الإمبراطوريات المتعاقبة، وقد التقت الديانات الثلاث في ظل الإسلام، وشهدت علاقات ود وتعايش في الأندلس والمشرق وتأثيرات متبادلة، وكان هناك صراع بين القرنين الخامس عشر والتاسع عشر. وهناك بعد منتصف القرن العشرين تقارب يقوم على نوع من الاعتراف المتبادل المؤسَّس على الاشتراك في الأصل الإبراهيمي (ص 22)

(روبرتو روسكوني): التخلي عن المهمة الكبرى أو دواعي استقالة البابا
قراءة: عزالدين عناية
توفي البابا السابق في 31 ديسمبر 2022، لكنه صار بابا فخرياً "منذ العام 2013 تاريخ استقالته من مهامه" وخلافة فرنسيس له على كرسي الفاتيكان. عزالدين عناية الأستاذ بجامعة روما يراجع لمجلة قراءات الكتاب العشرين الصادر أخيراً عن استقالة راتسينغر (البابا بنديكتوس السادس عشر حسبما لقب نفسه). يدرس الكتاب استقالات سابقة للبابوات في تاريخ الكنيسة في العصور الوسطى؛ وكانت تحصل لضغوط السياسي على الديني، لكنها منذ القرن التاسع عشر وقد استقلت الكنيسة؛ فإن الاستقالة أو التفكير بها صارت تحصل لأسباب داخلية. في استقالة البابا السابق يناقش روسكوني العوامل والأسباب ومنها التقدم في السن، والمحافظة الشديدة للبابا والتي أحدثت أزمة بالداخل الكنسي، والطغيان البيروقراطي، وإصرار البابا على "التخلي عن المهمة الكبرى" للقصور والعجز (مرض باركنسون). ويتعرض المؤلف أخيراً لانفتاح البابا الحالي فرنسيس وعلاقاته مع المسلمين، ومدى قدرته على أداء مهامه، وهل يفكر حقاً هو أيضاً في الاستقالة؟ (ص 27)

(إيرين فاليجو): البرديات: ظهور الكتب في العالم القديم
قراءة: محمد السماك
كان لكل من سقراط وأفلاطون موقف سلبي من النصوص المكتوبة باعتبار أنها تؤثر على الذاكرة. لكن الكتب انتشرت في اليونان كثيراً. وكان اليونانيون يتبارون في الحصول على نسخة من إيازة هو ميروس التي كان الإسكندر يصطحبها معه في حروبه. ويبدو أن البابليين والآشوريين كانوا أول من كتب النصوص وجمعها على ألواح طينية. وفي العالم القديم اشتهرت مكتبة الإسكندرية بكتبها التي زادت على المليون. وقد حصل تقدم في إنتاج الكتاب عندما صار يُكتب على أوراق البردي. ثم اخترع غوتنبرغ الطباعة في القرن الخامس عشر فتسارع إنتاج الكتاب. وتورد المؤلفة تفاصيل كثيرة عن صناعة الكتاب قبل عصر الطباعة وبعدها. لكنها لا تذكر شيئاً عن تجربة الكتابة والكتاب في الحضارة العربية الإسلامية، وهي قصة فريدة من نوعها في التاريخ الثقافي للعالم (ص 30)

(ماريون كاتز): الزوجات والعمل المنزلي: الفقه الإسلامي والأخلاق قبل الحداثة
قراءة: محمد السيد
ماريون كاتز أستاذ الدراسات الإسلامية ودراسات الشرق الأوسط بجامعة نيويورك. و لها أعمال سابقة في الفقه الإسلامي الكلاسيكي. ولكنها هذه المرة و بعد بحث أصل المسألة في الفقه القديم، تصل إلى العالم المعاصر. وتلاحظ المؤلفة أنه منذ القديم هناك فرق بين الموقف الفقهي أو القانوني الذي يفترض المساواة والمكافاة فلا يفرض على الزوجة العمل المنزلي - والموقف الأخلاقي والذي يقتضي الود والتراحم، والمعروف بداخل الأسرة. وهذه الاعتبارات تفترض أو تقتضي المعاونة من جانب المرأة في العمل المنزلي، وفي خدمة أطفالها على سبيل المثال. تعمد المؤلفة إلى مناقشة المسائل في القديم باختيار فقيهٍ من كل مذهب قديماً. وتناقش التوجهات الحديثة، ثم تعود للفكرة الرئيسية التي توصل إليها الجميع وهي: التوازن الضروري لبقاء الأسرة وتضامنها (ص 34)

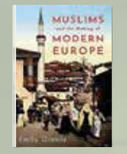

(إميلي غربل): المسلمون ونشوء أوروبا الحديثة
قراءة: محمد حداد
تبحث المؤلفة أوضاع المسلمين في جنوب غرب أوروبا خلال المائتي عام الأخيرة. بدأ العثمانيون الانسحاب من تلك النواحي في سبعينات وثمانيات القرن التاسع عشر، وحل محلّهم النمساويون، ثم جاءت بعد الحرب الأولى الأنظمة الشيوعية. وفي الزمانين عانى المسلمون من التمييز ومن إنكار حق المواطنة عليهم. وهكذا لم يكونوا كتلة واحدة في الإيجاب والسلب، وأسهموا بالفعل في نشوء أوروبا الحديثة بجهودهم السياسية التي لا تكل، وبأعمالهم الثقافية الكبرى. إن كتاب المؤلفة شديد الدقة والتفصيل، وهو إسهام فعلي في التعرف على أحوال المسلمين الأصليين في أوروبا في القرنين الأخيريين (ص 37)

(بيتر أدامسون، محرر): الفلسفة والفقه في العالم الإسلامي
قراءة عبد الحميد الراقي
جمع الباحث المعروف في الفلسفة الإسلامية بيتر أدامسون في هذا الكتاب أعمال مؤتمر، وهي تقع في بضعة عشر بحثاً. لكنّ القارئ الأستاذ عبد الحميد الراقي اختار خمسةً منها للمراجعة باعتبارها الأمسّ بالفلسفة. وفي البحث الأول عمل جورج تامر على شعر الشافعي، وهو اختيارٌ لا وزن له يستند إلى شكوى الشافعي من الدهر، وما كانت في زمن الشافعي فلسفة كلاسيكية مترجمة ويعرفها ليأخذ عنها. أما الموضوع الثاني للباحثة فريال بوحافة عن الأخلاق والفقه في فلسفة الفارابي؛ فقد درست الموضوع من خلال كتب الفارابي الأربعة: كتاب الملّة، وفصول العلم المدني، وإحصاء العلوم، وآراء أهل المدينة الفاضلة. والبحث الثالث لحنة أرلواين يدور حول علاقة الوجود والكينونة لدى ابن سينا بمسألة الخير والشر في الدين. وفي البحث الرابع لنورا كلباتزيك عن اللغة والمنطق عنده وتأثير رؤيته واستثمارها في مفهوم المخالفة لدى علماء الأصول. وأخيراً هناك دراسة الكاتبة المعروفة فليسيتا أوبُوسن عن تأثير المنطق في نظرية القياس عند الغزالي وابن حزم. (ص 40)

(باتيست كولمون): سوسيولوجيا الأسماء
قراءة: عبد الدائم السلامي
الاسم في كل الثقافات هو منجمٌ غنيّ ذو وظائف ودلالات سوسيولوجية، منها ما يتصل بالشخص وبالأسرة، ومنها ما يعبر عن حقائق ووقائع تاريخية أخلاقية عميقة. وأحياناً تكون الاعتبارات طريفة. فعندما سُئل بدوي عربي عن سبب قبح أسماء الذكور، وحُسن أسماء العبيد الرقيق، فأجاب أن العرب يسمون أبناءهم لأعدائهم، وعبيدهم لأنفسهم! وكانت الأسماء تعبر قديماً عن الأوضاع الدينية، حينما يُسمى الأبناء بأسماء قديسين. إنما بعد الثورة الفرنسية وصعود نجم العلمانية ظهرت أسماء قومية وأخرى لها علاقة بالصعود العلماني في المجتمعات الغربية. وفي القرن العشرين جاءت عوامل الموضة لتأخذ نصيباً في الأسماء. و مع ظهور الجندر والنوع صار التحكم بالتسمية جراءةً وخوفاً، ومن اهتمام الأفراد وحدهم (ص 43)

(ليبينار وليبن): الجندر/ النوع: مفهوم ونظريات
قراءة: بلقاسم الجطاري
يهدف الكتاب إلى تعريف القارئ بالمناهج الرئيسية التي تعتمد مصطلح "النوع" في مجال الدراسات ذات الصلة، إذ يعتبر النوع مصطلحاً ينفصل عن التفكير الطبيعي الذي يعيد قراءة مجال الدراسات باتجاه التغيير، فقد صارالنوع مصطلحاً ينفصل عن التفكير الطبيعي الذي يعيد وضع النساء والرجال في أدوار اجتماعيةٍ معينةٍ بسبب ميزاتهم البيولوجية والتكاثرية، وهو يعتمد منهجيات عديدة مستقاة من العلوم الاجتماعية الدقيقة التي ازدهرت منذ نصف قرن. وهكذا فمجال النوع يشير إلى العمليات الاجتماعية والثقافية والتاريخية والنفسية، التي تتشكل فيها الهويات النوعية والنوعية الجنسية، والعمليات التي تُرسم فيها الحدود بين هذه الهويات (ص 45)

(أورفلي و بوميرانز): مقامات بديع الزمان الهمذاني
قراءة: لينا الجمال
صار البحث في المقامات مجالاً شاسعاً في العقود الأربعة الماضية. لكنّ نشرات المقامات وقد داخَلها خللٌ كبيرٌ منذ النشر في مطالع القرن العشرين لم تتعرض لإعادة تأمل، ولا كذلك تاريخها النقدي للتكون والنشوء، وهذان الأمران بالذات عالجهما الباحثان، فَقَدُ تاريخ النشوء وإشكالياته من جديد، كما نشرا مقامات منسوبة للبديع وجداها في المخطوطات الكثيرة التي رجعا إليها. ولذلك فإن في كتاب المقامات الجديد بحوثاً جديدةً تستحق النظر والاعتبار (ص 47)

(بيلفيجليو وسوليفانت): الطب العسكري الروماني: الاستمرار في السهوب الحديثة
قراءة: زياد السلامين
تحسن الوضع الطبي في الإمبراطورية الرومانية عندما وصل إلى روما الطبيب أسكيبياديس. ومع تزايد حروب الإمبراطورية، جرى إيجاد المرفق الطبي العسكري في القرن الميلادي الأول، وصار الأطباء موجودين في كل الموانئ والسفن البحرية العسكرية، وحملوا رتباً عسكرية، وأعفوا من القتال. الكتاب مفيد لأنه يعرض لتشكيلات الجيش الروماني وتطوراته عبر العصور، ثم كيف تكون المرفق الطبي، وصار بينهم مشاهير تركت كتباً في الطب والأدوية مثل جالينوس وديسقوريدس (ص 50)

كتب جديدة و مراجعات مقتضبة
قراءة : البدر الشاطري و رضوان السيد (ص 52).

تطور المعرفة:

إعادة التفكير في العلم، وما هو الأنثربوسين؟

L'Évolution de la connaissance:

Repenser la science pour l'Anthropocène

JÜRGEN RENN

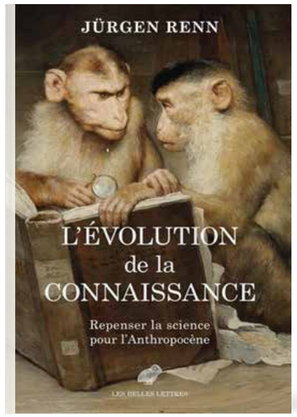

قراءة نورالدين الموادن
عضو الهيئة التدريسية في
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

المؤلف: يورغن رين Jürgen Renn مدير مؤسسة Max Blanck لتاريخ العلوم التي تضم عدداً مهماً من الحاصلين على جائزة نوبل، حاصل على دكتوراه في الفيزياء، أستاذ جامعي، عضو عدد من المؤسسات الأكاديمية، حاصل على العديد من الجوائز العلمية. أما دراسته عن تطور المعرفة فهي خلاصة لأعمال العديد من فرق البحث التي قادها يورغن رين والتي اشتغلت منذ 1994 بمؤسسة ماكس بلانك في موضوع "تاريخ العلم" في إطار تاريخ عام للمعرفة الإنسانية.

يغطي الكتاب مرحلة ترجع جذورها إلى بداية التفكير/الفكر الإنساني المعاصر وصولاً إلى مرحلة التحديات المعاصرة في عصر الأنثربوسين[1]. ويستقي رين عناصر موضوعه من بحث طويل الأمد، وانطلاقاً من هذه الزاوية يسعى الكاتب للربط بين أفقين تاريخي وجغرافي عبر مداخل متعددة لإضاءة جوانب البحث.

يتميز هذا العمل باعتماد الباحث على نتائج أبحاث عديدة لفرق علمية متعددة التخصصات والرؤى، وعمل على تحليل مظاهر "تطور المعرفة" على المدى الطويل متتبعاً تحولها طيلة المسيرة التاريخية للإنسان، مشيرًا إلى تسارع التغيرات التي تعرفها المعارف التي آلت إلينا وكان من نتائجها أن أوصلتنا إلى "الأنثربوسين".

ينطلق الكاتب من نتائج الأبحاث التي أجرتها مؤسسة ماكس بلانك (Max Blanck institute For Evolutionary Anthropology- Leipzig) في مجال تاريخ العلوم ملتزما بمحورين أساسيين:

أ-نقل المعرفة على المدى البعيد وتغيرها.

ب-صيرورة نقل تلك المعرفة وعولمتها لتحديد أسباب وكيفية دخولنا في مرحلة وأفق "الأنثربوسين" من جهة، وللتعرف على طرق تدبير التحديات التي تفرضها مرحلة "الأنثربوسين" من جهة أخرى.

يرى الكاتب أنه من خلال تاريخ العلوم والتكنولوجيا جرت العادة أن يتم دائماً ترجيح وإعطاء الأهمية لموضوع الاختراع بدل الانتباه إلى موضوع نقل المعرفة وإلى التحولات التي تحصل جراء ذلك، ويسجل أن المعرفة الأقل إثارةً وشداً للانتباه هي التي سمحت بالوصول إلى اكتشاف ابتكارات نعتبرها حالياً الأكثر أهمية، ولذا فقِسم محدود من هذه المعرفة استطاع الصمود لمدة طويلة أمام التغيرات العميقة. وفي نفس الوقت يرى أن نقل المعرفة وتحولها عبر الثقافات كان وراء الإنجازات التكنولوجية والعلمية منذ فجر الثقافة الإنسانية، وهذه حقائق يتم تناسيها حين يتم التركيز على نقاط التوافق فقط.

انطلاقًا من مقترح اعتماد التحليل التاريخي، حاول الكاتب وضع أسس خطاب نظري يساعد على بناء وصف صيرورة تطور نقل المعرفة بغض النظر عن وسائلها ووسائطها. لهذا السبب كانت منطلقات دراسته متنوعة تعتمد على علوم تاريخية مثل الأركيولوجيا، والتاريخ السياسي والاقتصادي، وتاريخ العلوم وتاريخ التكنولوجيا، وتاريخ الفن والأديان، ومعطيات إبستمولوجية فلسفية، والعلوم الاجتماعية والسلوكية، وخاصة علم الاجتماع والاقتصاد والأنثربولوجيا الاجتماعية...

يضيف الكاتب أنه إذا كانت المعرفة العلمية والتقنية تستحوذ على حياتنا اليومية، وإذا كانت أسباب حياة الإنسان/نجاة الإنسان من "الأنثربوسين" مرتبطة ورهناً أساساً بطريقة تطبيق عقلانية لحلول مبنية على العلم، فإنه حالياً يرى أن تاريخ العلوم لا يسهم إلا بشكل ضئيل في هذه النقاشات، لذا يطرح تساؤلات من قبيل:

-ما الحل لتجاوز هذا النقاش؟

-ما السبل الكفيلة بإعادة بناء تصور أساسه أن العلم بوصفه ممارسةً إنسانيةً تأخذ بعين الاعتبار الأبعاد العقلية والمادية والاجتماعية؟

-كيف يمكن لنا أن نعي العلوم ونفهم أنها محدودة لكن غير محددة (محصورة) ببنيات محلية؟

-ثم أي "إبستمولوجيا" تاريخية وسياسية يمكن أن تساعد في تحديد المسؤولية الأخلاقية في قضية البحث عن المعرفة العلمية؟

في هذا الكتاب يقر الكاتب أنه لا يمكنه إعطاء أجوبة نهائية لهذه التساؤلات، لكن سيسعى جاهداً إلى الابتعاد عن الأحكام النهائية القطعية التي تؤطر النقاش الجاري حالياً، مؤكداً أنه بات من الضروري عدم الاقتصار والوقوف عند إعادة تفكيك المقولات التقليدية، والسعي إلى إعادة الصلة بالعمل التجريبي، مع تجاوز الدراسات التي تهم الحالات المحدودة، لنتمكن من إيجاد تحالف وإنتاج تواصل جديد مع العلوم والبحث العلمي وتأسيس مناهج جديدة...

عمل الكاتب على توزيع محاور دراسته على 5 أجزاء مقسمة على 17 فصلاً تناول فيها:

تعريف العلم، والمعرفة، وعلم الأنثربوسين، والنظريات التاريخية للمعرفة الإنسانية، وبنيات المعرفة المختلفة، والتمثلات الخارجية، وتأثير النماذج العقلية، وطبيعة الثورات العلمية، وكيف تؤثر بنيات المعرفة في المجتمع، واقتصاد المعرفة، واقتصاد المعرفة التطبيقي، واقتصادات المعرفة في التاريخ، وكيف تنتشر المعرفة، وعولمة المعرفة في التاريخ (عبر التاريخ)، والأصول المتعددة للعلوم الطبيعية، والشبكات المعرفية، وأي معرفة لمستقبلنا؟ وتطور المعرفة، والأنثربوسين، والمعرفة في مرحلة الأنثربوسين، ونهاية الأنثربوسين، والعلوم والتحديات التي تواجه الإنسانية.

ويتميز الكتاب بشرح للمصطلحات المستعملة لتوحيد المفاهيم وضبطها بغرض إزالة اللبس حين قراءة الكتاب، تليها لائحة المصادر و المراجع وفهرس أخير للأسماء والمصطلحات.

من بين القضايا العديدة والإشكاليات التي تناولها الباحث، احتلت إشكالية مفهوم الأنثربوسين وتاريخ تطور المعرفة حيزاً مهماً ومركزياً في دراسة يورغن رين.

مفهوم الأنثربوسين: يشير يورغن إلى أن مصطلح الأنثربوسين يحيل إلى مرحلة جيولوجية تلت الهولوسين والذي تميز بتأثير قوي للأنشطة البشرية على أنظمة الأرض، وللتذكير فقد استعمل مصطلح الأنثربوسين[2] من طرف Paul Crutzen الحاصل على جائزة نوبل للكيمياء[3]، وذلك بعد أن أصبح مصطلح الهولوسين مزعجاً بالنسبة إليه، وأضحى "عاجزاً" عن التعبير عن مميزات المرحلة، ثم طُرح مجدداً مصطلح الأنثربوسين خلال المؤتمر الذي انعقد في ضواحي العاصمة مكسيكو وذلك للتأكيد على تأثير الإنسان على النظام الأرضي، وعلى دور الإنسان كفاعل جيولوجي قوي[4].

لقد غير الإنسان الكرة الأرضية بشكل جذري ودرامي باعتماده أدوات مبتكرة، نادرة الوجود في الطبيعة والتي استنزفت الطاقة بسبب عمليات كميائية كان لها نتائج يستعصي أمر عكسها. إن أصل قوة هذه التغييرات التي أحدثها ويحدثها الإنسان -وعن وعي- هي من نتائج العلم والتكنولوجيا المتراكمة على مر الأجيال، والتي تسارعت وتيرتها منذ الثورة العلمية مروراً بالثورة الصناعية ثم التحول الكبير في سنوات خمسينات القرن العشرين، ينضاف إلى ذلك أن ما يحصل هو أيضاً نتيجة التراكم الحاصل بشكل لا إرادي لأنشطة الإنسان.

وحالما تطرح قضية مراجعة إسهامات العلم والتكنولوجيا وتأثيراتها فمن الضروري التنبيه على أنه يجب الأخذ بعين الاعتبار أن ما يصلح من حلول علمية وتقنية في منطقة جغرافية معينة قد لا يصلح في منطقة أخرى، فلكل مجتمع اقتصاده المعرفي الذي يعيد من خلاله "إعادة إنتاج نفسه (المجتمع)".

إذا كان الوعي بأن النتائج المترتبة عن العلم وتطبيقاته قد طورت حياة الإنسان وغيرتها، كما انتهت إلى عولمة الرأسمال والصناعة والتجارة، وساهمت في النمو الديمغرافي، مما شجع على متابعة المشاريع والابتكارات المربحة وعدم الاكتراث بالنتائج الجانبية، وعدم المبالاة بأن للعلم والتكنولوجيا نتائج غير متوقعة وغير متحكم فيها تتجاوز حدود الرغبة في الإنماء (النمو).

إن آفاق مواجهة تحديات الأنثربوسين بعيدة المنال، حيث نلاحظ أن القرن 21 يشهد ارتفاع وتيرة انتشار وسيادة ميكانيزمات تعتمد على:

- طرح استراتيجية تدبير البحث العلمي اعتماداً على تشجيع المزيد من الإنتاج العلمي ورفع وتيرة النشرات العلمية الصادرة عن الوحدات البحثية.

- نزوع خلايا البحث إلى تقليص عدد باحثيها والتركيز على مواضيع البحث بتضييق مجال اهتمامها، صاحبها "انفجار" المعرفة العلمية مع تجزّئها.

بسبب هذه العوامل أضحى من الصعب مواجهة تحديات الأنثربوسين التي بسبب طبيعتها لا يمكن تجزئتها إلى تخصصات منفصلة، ومما يزيد الوضع تعقيداً سيطرة "العولمة": عولمة الاقتصاد والسياسات العلمية للدول التي تركز أكثر فأكثر على التنافسية وتراجع البحث العلمي المبني على الفضول العلمي.

1- الأنثربوسين: مرحلة جيولوجية حديثة محددة في قوة وعمق وامتداد تأثير النشاط البشري على النظام الكوني، وتشكل الإطار الحالي الذي عرف فيه التطور الثقافي- الحضاري- أوجه وذروته.

2- أعيد طرح المصطلح بقوة سنة 1980من طرف Eugene F. Stoermer عالم الليمنولوجيا ، كما يمكن أن نجد مصطلحات أخرى مرادفة طرحت من طرف باحثين آخرين.

3- اكتشف من خلال أبحاثه أسباب تكون الأوزون وتحلله.

4- هذه الفكرة تعود إلى القرن 18 حيث طرحها عالم الطبيعة كونت بوفون جورج لوي لوكلير Louis Leclerc Georges والذي اعتبر أن سطح الكرة الأرضية يحمل آثار الإنسان كقوة مؤثرة.

إن مستقبل الإنسان في "الأنثربوسين" يستلزم ضرورة فهم دينامية المعرفة بما أن المعرفة والتحولات الحاصلة في مختلف البيئات تتراكمان مع الأجيال ضمن صيرورة طويلة الأمد لكن ليس بشكل يضمن نجاة ثقافة الإنسان في الاتجاه المتعارف عليه.

أما المعرفة، فمن خلال قاموس مفاهيمي وضعه الكاتب، يقصد بها الإمكانيات الفردية أو الجماعية التي تبذل لحل المشاكل أو العمل بشكل استباقي إما بالتفكير بها وتمثلها ذهنياً أو بتنفيذ الإجراءات المناسبة، والمعرفة يمكن تمثلها مدة بسبب إنتاج بنيات معرفية تسمح ببناء علاقة بين التجارب الماضية والأوضاع الحالية، ولا تنحصر المعرفة فقط في تجربة مشفرة داخل البنية العقلية للأفراد بل لها أبعاد مادية واجتماعية تسمح للمجتمعات بامتلاك تجاربها وتشفيرها، إما بهدف تقاسمها أو نقلها من جيل لآخر، لذا فإن انعدام التمثلات الخارجية والمجسّدة مادياً للمعرفة سيعرقل مشاركتها بين الأفراد ونقلها للأجيال اللاحقة. إن انعدام وتغييب المشاطرة داخل اقتصاد المعرفة سيؤثر حتماً على تعليم الفرد وتعلمه الذي سيصبح محدوداً ويعاني من الانحسار.

أما تطور المعرفة فإنه مرتبط بوجود محفزات ومسببات للتغيير تعمل على زحزحة استقرار أنظمة المعرفة المتداولة برفعها لتحديات بشكل مستمر، والتي لا مفر منها لنظام المعرفة مثل قضايا التصنيف... أو أشياء أخرى محفزة. إن المقصود بالمعرفة هنا تلك المعرفة المبنية على تجارب يتم ترميزها كي تسمح بحل المشاكل المجتمعية ومواجهتها في إطار "السلوك التكييفي"، ويضاف إلى ذلك أن المعرفة ليس لها أبعاد عقلية فقط بل اجتماعية ومادية، هذه المعرفة التي أصبح بالإمكان أرشفتها وتقاسمها ونقلها من شخص لآخر ومن جيل لجيل بفضل "تمثلات خارجية" كالكتابة أو أنظمة الترميز فأضحت عنواناً للثقافة المادية للمجتمع، التي لا تقتصر فقط على تحديد آفاق التدخل الممكنة لتحديد طبيعة التنظيم الاجتماعي بل تحديد أفق التفكير أيضاً.

إن المعرفة في رأي العلماء فلسفياً محايدة، وتقليدياً- جرى الحديث عن أن إنتاج الخبراء لمعرفة جديدة يعفيهم من كل مسؤولية عن نتائج العلم من منطلق أنه يمكن استعمالها إما بغرض صالح أو سيء، فمثلا هل تقع المسؤولية على علوم الحاسوب والرقمنة التي استحوذت على مختلف نواحي حياتنا أو على الطريقة التي يتم بها توظيفها، وهذا مثل قضية المرض والدواء، أليس من الأجدر أن نهتم بسلوك الإنسان ليتفادى المرض قبل أن يقع تحت طائلة الدواء؟

من الواضح أن المعرفة تتطور تاريخياً حيث إن هناك درجات تراكم تحدث حين تنتقل المعرفة من جيل لآخر، وهناك الوعي بأن النتائج المترتبة عن العلم وتطبيقاته قد طورت وغيرت حياة الإنسان، وانتهت إلى عولمة الرأسمال والصناعة والتجارة وساهمت في النمو الديمغرافي، لكن يبقى أن هناك الوجه الآخر لهذا التطور يستدعي الوقوف عندها في مجال العلم والتكنولوجيا، حيث إن لهما نتائج غير متوقعة وغير متحكم فيها تتجاوز الرغبة في التطور والنمو وهو موضوع فضلت المجتمعات عدم الاكتراث به وأعطت الأولوية لمتابعة الابتكارات والمشاريع المربحة.

إن "التطور الثقافي" الذي بدأ كظاهرة هامشية قد صاحب المجتمعات البشرية قبل أن يصبح شرطاً أساسياً لحياة الإنسان، فالتطور الإبيستيمي، والتبعية المتزايدة للمجتمعات البشرية إزاء "اقتصاديات المعرفة" أضحت مع "الأنثربوسين" رهينة التطور الثقافي بعد أن كانت لمدة طويلة مظهراً عرضياً فقط مما يهدد وجود الثقافة الإنسانية. إن رفع التحدي الذي يطرحه الأنثربوسين رهين بشكل أساسي بالتطور المستقبلي لاقتصاد المعرفة.

عمل الكاتب على رسم منحنى ومراحل ومحطات مسلسل تطور العلوم والتكنولوجيا، ابتداءً من اختراع الكتابة ثم التصنيع والرقمنة، فعمل على شرح الكيفية التي يتم بها "خلق/إنتاج" المعرفة وكيف تتحول وتنتشر منذ آلاف السنين.

وفي موضوع المعرفة الحالية يرى أنها رهينة "اقتصاد المعرفة"[5] العلمي وبخاصة المعرفة العلمية والتكنولوجية والاجتماعية والسياسية وغيرها... التي تنتجها وتعمل على نشرها، ويبقى أن المعرفة ضرورية لمتابعة تطور البنيات الكبرى الاجتماعية والتكنولوجية ومواكبتها، مع العلم أن جزءًا من هذه المعرفة لا يمكن إنتاجه إلا في إطار (ضمن) "اقتصاديات المعرفة" المعقدة التي تعتبر حاليا خاصية من خصائص العلم.

إن "التطور الإبيستيمي"[6] وهو ميزة المرحلة الحالية التي تعيشها الإنسانية، شكل نقطة مهمة في الدراسة حيث عمل الكاتب على التتبع التاريخي لمجمل المعارف والتقنيات التي صاحبت تطور المجتمع الإنساني، وأبرز أهم مظاهرها وتجلياتها، حيث اهتم بمختلف مظاهر العلوم وخلص إلى أن العلوم المعاصرة (الحديثة) هي بلا شك إحدى نتائج تاريخ عام للمعرفة التي لا يمكن فهمها إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار تداخل المعرفة وتأثرها بالعديد من البنيات الاجتماعية الأخرى، وخاصة مع ظهور الاقتصاد الرأسمالي ثم الاقتصاد الصناعي واقتران العلم بالاقتصاد أي فترة تأسيس آليات التنظيم الذاتي لاقتصاد المعرفة في العصور الحديثة.

5- اقتصاد المعرفة العلمية اقتصاد مكرس لإنتاج المعرفة العلمية يسمح بتصحيحها وينطوي على إجراءات باستعمال الرقابة المناسبة.

6- مفهوم الإبيستيمي استخدمه ميشيل فوكو في مؤلفه "(1966) "Mots et choses فأشار إلى: إبيستيمي عصر النهضة، وإبيستيمي العصر الكلاسيكي، وإبيستيمي العصر الحديث.

مصائر النظام العالمي الأمريكي؟
The Downfall of the American Order?

Peter J. Katzenstein & Jonathan Kirshner

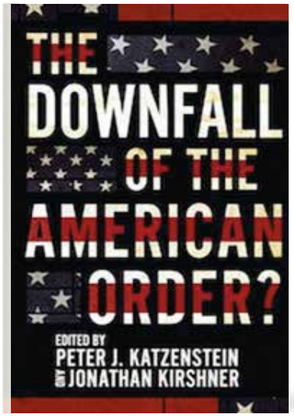

قراءة البدر الشاطري
أستاذ بكلية الدفاع الوطني
أبوظبي

كتاب جديد حول النظام العالمي الأمريكي وسقوطه حرره عالمان في العلاقات الدولية–بيتر كاتزينستاين وجوناثان كيرشنر–ويضم الكتاب والذي يحمل عنوان "مصائر النظام العالمي الأمريكي؟" ويتبع الكتاب مقاربة الاقتصاد السياسي للعلاقات الدولية حيث يُحلِّل إسقاطات السياسة على الاقتصاد والعكس في صياغة نظام عالمي جديد في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. ويتكون الكتاب من مقدمة وتسعة فصول كُتِبَت من قِبَل نُخبَة من المُتخصِّصين في الاقتصاد السياسي الدولي.

والمحرران ينتميان إلى مدرستين مختلفتين في العلاقات الدولية. كاتزينستاين من المدرسة البنائية والتي تنظر إلى الهُويَّة والثَّقافة على أنَّها مُؤثِّرة في سلوك الدول، وكيرشنر من المدرسة الواقعية الكلاسيكية الجديدة والتي تُحاول أنْ تدمج المقاربة التقليديَة للمدرسة الواقعية والمدرسة الواقعية الحديثة. وتَرَى أنَّ الإدراك والمُقَوِّمات الداخلية لها دَوْرٌ هَامٌّ في فَهمِ السِّياسات الخارجية للدول.

ويقول المحرران في التَّمهيد للكتاب أنَّهُمَا يبحثان عن أجوبة لانحدار النظام الأمريكي الدولي الذي شَيَّدَتهُ واشنطن بُعَيدَ الحرب العالمية الثانية مُنذُ الغزو الكارثي على العراق والأزمة المالية في 2008م. ليس هناك من بديل واضح لما يراه المحرران من انهيار لأنَّهُمَا يؤمنان بأنَّ عملية التَّغيير مشروطة بأمور أخرى طارئة على هذا التَّحَوُّل. أي أنَّ التَّغيير ليس حتميَّاً أو يَنتُج بالضرورة من بُنيَة النظام الدولي.

يَستَهِلُ المحرران الكتاب بمقدمة لتقديم الإطار العام للكتاب حيث يقولان إنَّ النظام العالمي الذي أسَّسته أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية على أُسُس الدَّمار والحروب التي سبقتها من قَبْل والتي استَمَرَّت ثلاثين سنة مُنذُ اندلاع الحرب العظمى. وقد انتبه المُنتَصرون في الحرب إلى حقيقة أنَّ الرَّأسمالية إذا ما تُرِكَت لتناقضاتها فإنَّها ستقود إلى كوارث، والتي شهدها العالم من حروب وكساد عظيم. وقد نجح المُؤَسِّسُون للنظام العالمي الجديد والذي تقوده الولايات المتحدة في تعزيز الاستقرار والأمن أكثر ممَّا تَوَقَّعه مُؤَسِّسُوه. ويبدو اليوم أنَّه يَتَرَنَّح، وآيل للسقوط.

وقد مزج هذا النظام الجديد بين الليبرالية السياسية والاقتصادية وكانت نِتَاجاً لتشكيل هذه الإمبراطورية ذات "العضوية الاختيارية" في أوروبا الغربية. وقد شيَّدت القيادة الأمريكية والتي جمعت بين الليبرالية الاقتصادية والسياسية مجتمع الأطلنطي الذي جمع بين أوروبا وأمريكا الشمالية.

ويُقِرُّ المحرران أنَّ المستقبل مفتوح على كل الاحتمالات. كما أنَّ عنصر المُفَاجأة حاضر بقوة في السياسة الدولية. فنهاية الحرب الباردة وأحداث سبتمبر الإرهابية والربيع العربي وانتخاب دونالد ترمب والجائحة التي أحاطت بالعالم لم تكن متوقعة رغم آثارها بعيدة المدى.

يقوم النظام الذي شيَّدته الولايات المتحدة وحُلفاؤُهَا على الليبرالية الدولية والتي تقوم على حريَّة تدفق البضائع والخدمات والرساميل. ولكن لتفادي ما حصل في الماضي القريب كان لابد من إقامة مؤسسات تحمي الرأسمالية من نفسها. ويقول جوناثان كيرشنر كاتب الفصل الأول بعنوان "كينز والوسطية البعيدة المنال"، إنَّ كينز قد أعلن انتهاء الرأسمالية غير المُقيَّدة والتي قال عنها إنَّهَا "غير ذكيَّة، غير جميلة، غير عادلة، غير فاضلة–ولا تجلب المصلحة". ولكن لا نعرف ماذا سنحل محلها؟!

وقد سعى عالم الاقتصاد الكبير أنْ يختطَّ خطّاً وسطاً في النظام الاقتصادي بين حرية الأسواق وضبط تَفَلُّتها بتدخل الدولة لئلا يقع ما وقع في الكساد العظيم. وما نَتَجَ عن هذا التَّوَجُّه سُمِّيَ لاحقاً بالليبرالية المُتضمِّنَة، أي تضمين السوق في مؤسسات حاكمة لجموح الاقتصاد الرأسمالي. وقد تخَوَّفَ كينز من الانفلات المالي في الولايات المتحدة والذي سيؤدي

حتما إلى انعدام المساواة والأزمة المالية العالمية التي حصلت في 2007م-2008م.

مارك بلايذ ساهم بفصل في الكتاب حول "نهاية الغاية الاجتماعية" حيث يُجَادل بالتفريق بين حقبتين في النظام الأمريكي: الحقبة الأولى هي "الليبرالية المُضمَّنة" أي نظام ليبرالي مُضَمَّن في مؤسسات ذات غاية اجتماعية لحماية الرَّفاه وتأمين التّوازن بين متطلبات السوق والمجتمع؛ والحقبة الثانية هي النيوليبرالية والتي أتاحت للأسواق أنْ تفلِتَ من عقالها.

ويقول بلايذ إنَّ نهاية الحقبة الأولى كان بسبب العوامل داخل تلك المنظومة والتي أدَّت في نهاية المطاف إلى تَحطُّمها وبروز النيوليبرالية في السبعينيات من القرن المُنصَرِم. فالوسطية الكينزية أدَّت في النهاية إلى الاقتصاد غير المُنظَّم بسبب بُنيَة ذلك النظام. وبالمفردات الاقتصادية سعت الحقبة الأولى إلى تصفير البطالة بينما سعت الثانية إلى استقرار الأسعار عبر ميكانزيم السوق للوصول إلى توازن دون تدخل الحكومة.

وقد هوت الحقبة النيوليبرالية حين أطلت الأزمة المالية في 2007م-2008م، وكشفت عن مواطن ضعف شديد. ولعل الحقبة الحالية تتمثل بصعود الشعبوية والقومية الاقتصادية لحماية الرأسمال المحلي وحقوق العمال. ولكن بلايذ يقول إنَّ النظام سيظل أمريكياً بسبب الدولار والذي هو العملة المُفضَلة للتجارة والاستثمار. ويضيف أنَّ هناك بوادر لتجاوز الدولار عبر عملات أخرى مثل اليوان واليورو. ولا ندري كيف سيتبلور النظام الجديد.

ولكن كيف تتشكل الأنظمة الدولية؟ سؤال انبرى له بيتر كورفيتش تحت عنوان "تشييد التوافق وصعود وسقوط الأنظمة العالمية". ويرى أنَّ الأنظمة تتكوَّن ليس من خلال مصالح وشخوص يساومون لتشكيل النظام مِمَّا يعني خيارات وبدائل وجماعات تتفاوض عبر قيادات معروفة.

ويعزو كورفيتش الأزمة التي يواجهها النظام القائم إلى عنصرين متداخلين صاغا النظام في أرومته. العنصر الأول يتعلق بنظام الحوكمة للشركات الكبرى والذي يُدَلِّل على النظام الاقتصادي القائم في البلدان الغربية. أمَّا العنصر الثاني فهو يتعلَّق بمستوى ودرجة دولة الرَّفاه في هذه البلدان. وبعد مضِي عِدَّة عقود تغيَّر الاقتصاد الدولي بسبب العولمة والتَّغيُّر الاجتماعي بسبب الهجرات من شرق أوروبا والشرق الأوسط وأفريقيا. ولم تستطع التوليفة القديمة الاستمرار بسبب هذين العُنصُرَين والتي تسبَّبَت في الأزمات الأخيرة وصعود التيارات الشعبوية.

الديمقراطية كانت العامل الرئيس للنظام الليبرالي العالمي الذي نَشَأَ على حُطَام النظام القديم. ولكنَّ الديمقراطية باتت تواجه تحديات في العالم الغربي. هذا ما تقوله شيري بيرمان في مداخلتها تحت عنوان "نظام الديمقراطية الاجتماعية وصعود واضمحلال الديمقراطية في أوروبا الغربية". وتستشهد الكاتبة بالزعيم المجري فيكتور أوربان الذي قال "إنَّ عصر الديمقراطية الليبرالية قد انتهى".

وقد عانت اقتصاديات الدول الغربية في السبعينيات الماضية من البطالة والتَّضخُّم والركود الاقتصادي مِمَّا أدَّى إلى التَّغيُّر نحو النيوليبرالية لاحقاً. وعند انهيار الشيوعية قويَت شوكة اليمين النيوليبرالي وأصبح النظام الديمقراطي الاجتماعي في مَهَبِّ الرِّيح. وضَغَطَ اليمين باتِّجَاه رفع القيود عن الأسواق وتَبَنِّي العولمة والتَّراجع عن دولة الرَّفاه.

ولكنَّ المُشكِلات التي نتجت عن النيوليبرالية أدَّت إلى سخطٍ شعبي ضِدَّ النُّخبَة السياسية. وبسبب انعدام الخيار أو البديل المُتَمثِّل باليسار، استطاعت الأحزاب الشعبوية استقطاب الاستياء الشعبي لتوظيفه في الانتخابات. وصعود هذه التَّيَّارات الشعبوية أضعفَ النظام الليبرالي الدولي الذي سَادَ مُنذ الحرب العالمية الثانية.

وفي حالة استثنائية لقصة الأزمات الاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة، يُرَكِّز فرانسيس كافين على حالة كاليفورنيا والتي يرى فيها قصة مختلفة عن بقية الولايات المتحدة. فهذه الولاية الأكبر سُكَّانَاً والمُلَقَّبة بالولاية الذَّهبيَّة هي عنوان النُّمو الديناميكي والولادة الجديدة بل المخيال الجديد. ويجادل بأنَّ العملية التاريخية والثَّقافة لها دور هَامٌ مثل المُؤَسَّسَات التي تَتَحكَّم في الاقتصاد والسياسة. وعلى ما يبدو فإنَّ التَّطور التاريخي والثقافي والثورة التكنولوجية التي شهدتها هذه الولاية غيَّرت مِنْ مسارها مقارنة ببقية ولايات أمريكا. ويُشير الكاتب إلى عامل هَامٌ وفريد في كاليفورنيا وهو التَّنوُّع الإثني لهذه الولاية. فقد غَدَت كاليفورنيا أكثر ولاية كوزموبوليتانية في أمريكا وأكثرها تَحرُّراً مِنَ القيود التقليدية التي تُكبِّل الولايات الأخرى ولعلَّ نجاحها الاستثنائي عائد لهذا السبب.

راوي عبدلال يعزو في فصل آخر بعنوان "التعلم والنسيان: المركزية، الشعبوية وأزمة شرعية العولمة" التغييرات التي شهدها العالم وأدَّى بالنهاية إلى سقوط النظام العالمي هو تلاقي اليسار واليمين على خَلْقِ نظام جديد. ونتج عن هذا النظام تَذَبْذُب اقتصادي وتفاوت في الدَّخل والذي نَجَمَ عنه بداية نهاية النظام. ويُصِرُّ الكاتب على أنَّ التَّلاقي بين الجنَاحَين ليس خاصية أمريكية ولكن أوروبية كما شهدنا في حالة فرانسوا ميتران وتوني بلير وجيرهارد شرودر. وردَّة الفعل الشعبوية ضِدَّ العولمة المُنفَلِتَة التي تلاقى حولها التَّيَّاران اليميني واليساري عبر الأطلسي والذي تسَبَّبَ في بروز شخصيات مثل دونالد ترمب ومارين لوبين.

ورغم هذه التَّغيُّرات التي يشهدها العالم، ما هو مصير وحالة النظام الأمريكي في اللحظة الحالية؟ سؤال تُحَاول الإجابة عليه الاقتصادية إلين غرابل في فصل بعنوان "ما بعد لحظة أمريكا في الحوكمة المالية المعاصرة". وتُرَكِّز غرابل في مداخلتها على مُؤَسَّسَات الحوكمة المالية وترى في التَّفكُّك فرصة جديدة لإعادة صياغة النظام المالي الدولي، رغم المخاطر التي تحِيقُ بهذه التَّغيُّرات. وتُشير إلى بدايات بروز نظام مالي عالمي مُتَعَدِّد الأقطاب تلعب فيه الصين دوراً هَامّاً مع استمرار هيمنة الدولار على المعاملات العالمية.

العلامة جون رقي والذي تُوفِّي قبل صدور الكتاب كان له مساهمة لجهة تغيِّر النظام العالمي الذي أوجدته أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية. وعنوان مداخلته "الشركات المعولمة والنظام الليبرالي". ويتحدث صاحب مفهوم "الليبرالية المضمنة" عن إفراغ وإعادة تضمين القواعد الحاكمة.

الإشكالية التي يعالجها رقي تتعلق بالشركات العابرة للحدود وعلاقاتها المتوترة مع سيادة الدول. ورغم هذا التَّوتُّر بين الطَّرَفَين إلا أنَّ التَّنظِيم الاقتصادي السَّائد في العلاقات الاقتصادية مبني على نمط هذه الشركات العملاقة والتي بلغ عددها ما يربو على اثنين وثمانين ألف شركة في الألفية الجديدة.

الإشكالية الأخرى في هذا المضمار هي المسئولية الاجتماعية للشركات الكبرى العابرة للحدود بالنسبة للقضايا السياسية والاجتماعية والبيئية والديمومة. ولكن الاقتصادي النيوليبرالي الشهير ميلتون فريدمال، يقول إنَّ المسئولية الاجتماعية الوحيدة للشركات هي أنْ تُعظِّم من أرباح المساهمين ليس إلا. وهاتان الوجهتان هما الاختلاف بين النظام القائم على "الليبرالية المُضمَّنة" وإجماع واشنطن أي النيوليبرالية.

محرر الكتاب بيتر كاتزينستاين يختتم الكتاب بفصل أسماه "أضداد الليبرالية: النهايات كبدايات". يرى الكاتب أنَّ النِّظَام العالمي النيوليبرالي آيل إلى الغرق بسبب الأزمة المالية في 2008م وصعود التيارات الشعبوية. وهذه النهايات هي بداية لشيء غير واضح المعالم. ويستعرض الكاتب تاريخ الليبرالية الغربية المشوبة بالعنصرية، وأنَّ العنصرية البيضاء كانت فعلاً جزءاً من الفهم الليبرالي للعالم. ولا يعتبر هذه النزعات العنصرية مطبات إلى طريق الحرية بل مكون رئيس لليبرالية الغربية والأمريكية. وما ظاهرة ترمب إلا اجترار للماضي العنصري والذي وُظِّف لأهداف سياسية. ويختم الكاتب أنَّ عصراً قد انتهى وعصراً سيبدأ بالتشكُّل، وأنَّ الليبرالية بأضدادها بائنة للعيان وستكون جديدة وستخرج من رحم النهايات.

كتَابٌ هَامٌ في توثيق صعود وسقوط النظام الأمريكي العالمي من منظور اقتصاد سياسي. مداخلات من عِدَّة باحثين لمعرفة قضية انتهاء العصر الأمريكي ومن وجهات نظر متعددة ولكنها متقاطعة ومتكررة. هناك خيط واحد يربط كل هذه الفصول المتعددة وهو السؤال الرئيس في عنوان الكتاب ، سقوط النظام العالمي الأمريكي؟

هل تعلم

Did you know?

إضافة إلى قنوات التواصل الاجتماعي وأرقام الجامعة الرسمية، يمكنكم التواصل معنا عبر "الخوارزمي": المجيب الذكي لجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

In addition to its social media channels and official university telephone numbers, you can contact us through the official smart app of the Mohamed Bin Zayed University for Humanities: "Al-Khwarizmi"

العالم لن يعود كما كان

Le monde ne sera plus comme avant

Bertrand Badie & Dominique Vidal

قراءة شفيقة وعيل
أستاذة جامعية

الكتاب هو تفنيد لمقولة "التاريخ يعيد نفسه" في عشرين مقال يقدّم دعوةً لقراءة الراهن خارج نوستالجيا النماذج التاريخيّة المعلّبة ويبشّر بزوال الهيمنة الدوليّة والنظام الاقتصاديّ العالميّ.

يقدّم بيرتران بادي Bertrand Badie رؤية الكتاب في "سراب ومخاطر العود الأبدي"، فيدعو إلى قراءة التاريخ لا بوصفه عودةً للماضي -لأنّها ستكون عودة وهميّة بأيّ حال- ولا بوصفه أحد استشرافاته بل بفهم أسسه الجديدة في عالم متغيّر. فالمقاربات القديمة -وإن كانت توهم بالأمان بما تمنحه من خدعة التحكّم في الحاضر- لا تبدو صحيحة تمامًا، بل وربّما لا تبدو آمنة أيضًا. في عصر ما بعد القطبيّة، لم يعُد الجنوبُ العالمَ الثالثَ للأمس، والفئات الكلاسيكية التي كانت مكرّسة -بل ومقدّسة- فقدت وهجها، والتشابهات فجّ، وعدم الانتباه للتفاصيل الفارقة خطأ منهجيّ ينتج عنه التشخيصُ المضلّل والعلاجات غير الناجعة. والتحدّي الآن هو معرفة إدارة تدفّقات الواقع لتحريرها من حتميّات التاريخ.

في "الدروس (المتواضعة) الأولى لغزو أوكرانيا. حرب باردة غير حقيقيّة" يرى دومينيك فيدال Dominique Vidal عدم صحّة قراءة حرب أوكرانيا بنوستالجيا الحرب الباردة. ففي ظلّ تصارُع الإمبرياليات وتعدّد القطبيّة -وربّما اللّاقطبيّة- ليست الحرب في أوكرانيا بين نظامين متنافسين لا علاقة بينهما، بل هي "الحرب الأولى للعولمة" في مواجهة النظام العالمي. بل إنّ فكرة القطبية نفسها على المحكّ، فأزمة الغذاء الناجمة عن الحرب دفعت بالأطراف إلى البحث عن مصالحها في اصطفافات جديدة، ولذلك لم تجد روسيا مساندة إلّا من الديكتاتوريّات، وخسائر بوتين على عدّة مستويات، فالأخ السوفييتيّ الأكبر صار الأخ الروسيّ الأصغر الذي تسابق الدويلات الصغيرة لاستغلال تقهقره الجيوسياسي.

يعود فيكتور بويمار Victor Bouemar في مقاله "الحرب الكلاسيكيّة انقضى وقتها" إلى الحديث عن نموذج الحرب الباردة التي يُصرُّ الملاحظون على استرجاعها. ويرى أنّ حرب أوكرانيا ليست الحرب الباردة، لأنّ فكرة الحرب تغيّرت في ظلّ تعدّد القطبيّة، فقد انتقلت من الدوليّة إلى العالميّة؛ ومفهوم العدوّ تغيّر. فبعد الحرب الباردة والحرب على الإرهاب لم تعد الغاية الانتصار عليه بل إبادته، وصار الانتصار يقوم على إنكار التعادل ومن ثمّة استبعاد فكرة السلم؛ كما أنّ الحراك العسكريّ أضحى رابطًا اجتماعيًّا جديدًا. بالإضافة إلى ذلك، انفتحت الحرب على أشكال جديدة في زمن التقنية؛ والقطب الغربيّ الذي ظُنّ يومًا أنّه ينشر السلام الديمقراطيّ بدأ بالزوال.

في "الحدود لا تعود، لأنّها لم تزُل يومًا" تناقش آن - لور أميلهات - سزاري Anne-Laure Amilhat-Szary طبيعة الحدود اليوم بوصفها سيادةً قابلة للاختراق. فبعد أحداث سبتمبر أصبحت تحيل إلى أجندة أمنيّة للحماية من التهديدات العالميّة المتنقّلة، لتتحوّل الدولة-الأمّة فيها من مفهوم سيادي إلى نظام علاقات معقّد. لم تعد وظيفة الحدود التفريق بين الدول الكلاسيكيّة، بل صارت تمثّل مساحة لممارسة السيادة على التحكّم في حركة الانتقال بين الداخل والخارج اللّذين يستحثّان على إعادة التفكير في الثنائية (نحن، هم) ويهزّان أساسيّات الديموقراطيّة المبنيّة على المساواة في الحقوق في مجال جغرافي محدّد. وتخلص الكاتبة إلى أنّ الحدود التي تبدو عاجزة عن معالجة الأزمات الواقعة والمحتملة تدعو اليوم إلى استعجاليّة التفكير في بديل جديد للنظر إليها.

بيير غروسيه Pierre Grosser في "الهوس الخطير بسنوات الثلاثينات والأربعينات" يستعرض هوس المحلّلين باسترجاع نموذج الصراع في الثلاثينات والحرب العالميّة الثانية عند قراءة المشهد العالميّ المعاصر. ثمّ يضعنا أمام الوقائع التاريخيّة بوصفها إمكانًا واختيارًا لا بوصفها حتميّة، وينتقدها مع الانفتاح على التفكير في البدائل التي كانت ممكنة، لأنّ ما لم يحدث كان سيغيّر نظرتنا للتاريخ والحاضر. ويرى أنّ كلّ هذه المقايسات على ماضٍ مليء بالثغرات تُعارض الوعي بأنّنا في عالم معقّد اليوم وأمام خيارات صعبة، وعليه فلا يمكن الركون إلى الماضي لفهم الحاضر ولكن ينبغي الاستناد إلى الحاضر لنكون متواضعين في حكمنا على الماضي.

في "الهجرات في القاموس الجديد للعلاقات الدوليّة" كاثرين ويتهول ويندن Catherine Whithol Wenden ترى أنّه قد طرأت تغييرات على هجرات ما بعد الحرب العالميّة الثانية وهجرات التسعينات في مجال التشريع وفي دوافع الهجرة ونوعها وفي طبيعة المهاجرين. فالهجرة اليوم صارت صفقة مربحة لجميع الأطراف، حيث كشفت الأزمات الجديدة (كوفيد، حرب أوكرانيا، الكوارث الطبيعيّة) ارتهانَ دول الشمال لليد العاملة المهاجرة، في حين اكتسبت دول الجنوب -التي يمثّل مهاجروها ثلث مهاجري العالم- قوّةً للتفاوض على قضايا تخصّ مهاجريها وفق ديبلوماسيّة ناعمة.

في مقال "لماذا استقبلت ألمانيا تسعة أضعاف ما استقبلته فرنسا من المهاجرين؟ قراءة جديدة للهجرة" يعزو بيتر ليندن Peter Linden ترحيب ألمانيا بموجات اللاجئين السوريّين إلى: دعاية الصحافة لـ"ثقافة الضيافة"؛ والسياسة الجديدة لألمانيا في تشريع حقّ اللجوء إليها والمستلهَمَة من روح التعاطف لدى الشعب الألمانيّ؛ وتعاوُن الجمعيّات المجتمعيّة. ورغم اعتبارها لاحقًا عبئًا ماديًّا، أنعشت هجرةُ السوريّين الحرفةَ والتجارة وملأت الخزينة بالضرائب. تاريخيًّا، وبين الأيديولوجيّ والاقتصاديّ، كان دافع الهجرة مهمًّا في تعامل ألمانيا مع المهاجرين، بما قد يسمح بتفسير موجات الهجرة السوريّة باستحقاق التعاطف من منطلق موروثات الحرب الباردة لكونهم ضحيّة نظام يمكن اعتباره اشتراكيًّا، ولكنّه صديق لألمانيا! كما أنّهم ليسوا "طالبي اللجوء الاقتصاديّ" غير المرحَّب بهم، بل مثقّفون فرّوا من نظام على أمل العودة لأوطانهم يومًا ما.

ديلفين آلي Delphine Allés ناقشت في "العودة غير الحقيقيّة للفاعل الديني في المشهد الدولي" تغيّر شكل ودور الفاعل الدينيّ في المشهد السياسي اليوم. لقد شهد المنعطف بين القرن 20 و21 تحوُّل "الفاعل الديني" من كونه محرّضًا على حروب الدين إلى كونه مندمجًا في نظام سياسي عالمي. وتعتبر الكاتبة عودته اليوم سرديّةً جديدة لإدارة الخلاف، حيث انتظم الحوار ما بين الأديان في شكلٍ مؤسساتيٍّ للتعبير عن الرغبة في احتواء هذا الفاعل الذي وُصِف طويلًا بأنه سبب في الاضطراب العالميّ، لكنّ الحوار نتج عنه عدم المساواة بين الهويّات الدينيّة لانفتاحه فقط على الذي له تمثيل مؤسساتيّ. لذلك تقترح الباحثة ضرورة اعتبار الفاعل الدينيّ جهةً فاعلة اجتماعيًّا أكثر من كونه جهةً دينيّة ذات شرعيّة ما، بلا تهميشه ولا المبالغة في تقدير دوره.

"هل ما زالت هناك حلول وطنيّة لمشاكل العالم؟"، يقدّم هنا روجيه مارتيلّي Roger Martelli تحليلًا نظريًّا للعلاقات الدوليّة في جدليّة الأمّة والنظام العالميّ. فمشاكل العالم لا يمكن أن تُحَلّ باستقلال السيادة الوطنيّة، وكلّ محاولة في ذلك ينبغي أن تتناسب مع إمكانات الدول-الأمّة في إطارٍ عابر للأوطان: العولمة. العولمة أيديولوجيا ترابُطيّة ذات هدف اقتصادي-اجتماعي، تنتصر لليبراليّة وتجمع المتناقضات لتمرّ من الأمان إلى اللا-أمان الهويّاتيّ ومن كونها اختيارًا إلى كونها حتميّةً. وفي هذه ظلّ الترابطيّة المفرطة لا تُعتَبَر الأمّة بمكانيَّتها، فالذي يهمّ هو طريقة اشتغال الترابط. وعليه ينبغي "دمقْرطة" الترابطات القيميّة -كاحترام حقوق الإنسان- للانتقال بها من التنظير إلى الواقع.

في مقاله "هل الشعبويّة المعاصرة هي نسخة طبق الأصل عن الشعبويّة القديمة؟" يرى جان إيف كامو Jean-Yves Camus أنّنا لا يمكن أن نشبّه الشعبويّة اليوم بها في الثلاثينات. لقد ارتبطت آنذاك بالتمرّد، بينما ترتبط اليوم بـ"العبقريّة الأصيلة للشعوب"، لكنّها في الحالتين تختلط بنزعة كرهٍ للأجانب xénophobie: ضدّ-عالميّة ثمّ ضدّ-سامّيّة في الثلاثينات؛ ضدّ-إسلاميّة عند اليمين المتطرّف اليوم الذي يستعملها ورقةً انتخابيّة. كما أنّ الشعوبيّة-الوطنيّة اليوم ليست الشعوبيّة-الاشتراكيّة أيضًا، لأنّها تفتقد إلى روح العِرق والمجال الحيويّ والتنظيم شبه العسكريّ المجنّد في خدمة الدولة؛ وليست الفاشيّة الموسولينيّة لأنّ الاستيلاء على الحكم بالانقلاب ليس مبدأها. كما لا يمكن التكهّنُ بصيرورتها إلى الاستبداد، لأنّها لم تجتَز اختبار الاستفتاء وإن قدّمت الوعودَ بمنح الشعب حقّه في القرار، ولا نعرف إذا كان الاضطراب الجيوسياسيّ -خاصّةً في أوروبا- سيجعلها تتفاقم نحو أشكال أكثر تطرُّفاً.

دومينيك فولتون Dominique Wolton في مقاله "حدود وتناقضات الدعاية اليوم" يقيّم فاعليّة الدعاية في المشهد السياسيّ المعاصر في ظلّ التغيّرات التقنيّة والسوسيو-سياسيّة والثقافيّة. يعرّف الكاتب الدعاية بأنّها إنكار التواصل communication بين اللّا-تواصل incommunication (عدم الفهم المتبادَل) وضدّ - التواصل acommunication (استحالة

التواصل). وفي عالم التقنيّة اليوم، تختلف فاعليّة الدعاية ووثوقيّتها وفق مستوى الديمقراطيّة المفتوحة على المعارضة، ووفق مستوى التقنيّة وسرعة تدفّق المعلومة، ووفق ظروف السلم والحرب. فالحرب بين المعلومة والشائعة تخدمها السرعة التي تُفاقم حالة الالتباس لدى المتلقّي، ويكون التريُّث إستراتيجيّةً نفسيّة لتحجيم آثارها. والمعلومة تدافع عن "التواصل" بالتفاوض والتكييف الثقافيّ، بينما الدعاية تتلاعب بالمعلومة بواسطة الرسالة، والتمييز بينهما يحتاج ثقافة نقديّة حذرة تقي من التسمُّم المعلوماتي دون الوقوع في الحذر الممَنهَج. وتتأسّس هذه الثقافة على رؤيةٍ تعدُّدية للعالم تسمح بالآخريّة.

في مقالهما "نحو نزع التسييس عن العلاقات الدوليّة؟" ماريك لويس Marieke Louis ولوسيل مايرتنس Lucile Maertens تقترحان محاولة تنظيريّة لجعل نزع التسييس ممكنًا في العلاقات الدوليّة. ترى الكاتبتان أنّ نزع الصبغة السياسيّة عن الممارسات الدوليّة تواجه عائقَ الطبيعة السياسيّة لـ"الدولة". ولتجاوز هذا العائق تقترحان النظر إلى نزع التسييس لا بوصفه سياسةً ولكن بوصفه ممارساتٍ وتقنيّات مشتركة، فهو يتكامل ميدانيًّا مع عدم التسييس لأنّه يسمح بمساحة الحياد التي تشتغل فيها المؤسّسات ببراغماتيّة سواء كانت ذات طابع سياسيّ أو تقنيّ. لكنّه سيكون محدودًا ولن يتناول القضايا الشائكة من حيث إنّه قد يكون ذريعة للتملّص من المسؤوليّات في ظلّ الإدارة المعتمدة في النظام الدوليّ. وفي المقابل تعرضان قراءة دوريّة تتبنّى "العودة" إلى التاريخ تفترض أنّ التسييس ونزعَه تناوبا دوريًّا على العشريّات الأخيرة وأنّهما لا يتعايشان. لكنّ مراجعة التاريخ تستدعي الحذر من قراءة التسييس وعدمه قراءة شموليّة، وتثير التساؤول حول كيفيّة كون الزمن مصدرًا من مصادر التسييس ونزع التسييس الذي من وظائفه إطالة الحوار والتقليل من الإرهاق المؤسّسي.

يناقش كلوي موريل Maurel Chloé في "التعدّديّة (multilitéralisme) اليوم ليست كما كانت عليه في 1945م" موقعَ التكتّلات الدوليّة اليوم ومدى استجابتها لتغيّر موازين القوى. مدفوعةً بالرغبة في بسط سيطرتها تبنّت الدول القويّة خيار التكتّلات التي تزعم إقامتها على مبدأ التعدّدية، لكنّها في الواقع لا تمثّل إلّا القلّة الغنيّة من العالم ومصالحها. وللتصدّي للنظام الاقتصاديّ العالميّ بنظام جديد يخدم مصالح الأغلبيّة الجنوبيّة ويحارب ضدّ اللّا-مساواة وضدّ استغلاليّة الشمال، رفع الجنوبُ خيار التعدّدية أيضًا وكوّن مجموعاتٍ على أساسها (منها مجموعة 77+ الصين، الاتّحاد الإفريقيّ، OPEP)، فاستطاع أن يعزّز إدارةً دوليّة للعالم أكثر توازنًا نتجت عنها استحقاقات تشريعيّة في مجال حقوق الإنسان والصحّة وغيرها. بينما عجز التكتّل المسِنّ/مجلس الأمن -بسبب تعارض المصالح- عن إعادة هيكلته التي لم تعد تواكب موازين القوى الجديدة.

أندريه غراتشيف Andreï Gratchev في "فلاديمير بوتين لا يريد إعادة بناء الاتّحاد السوفياتيّ ولا الإمبراطوريّة القيصريّة" يرى أنّ بوتين رفع في حربه على أوكرانيا عقيدة استعمال القوّة بدعوى الحفاظ على اللُّحمة الروسيّة، وهي العقيدة الموروثة من القيصريّة. ولكنّ سوء الأوضاع الناجم عن سيطرة الأوليغارشة ومحدوديّة الموارد الاقتصاديّة هزّ نظامه، فاضطرّ إلى احتواء غضب الشعب بمنحه أيديولوجيا ومشروعًا وطنيًّا جديدًا. فغزا أوكرانيا باسم التمجيد الوطنيّ من خلال تقديس دور الاتّحاد السوفييتيّ في الحرب العالميّة الثانية وبطولاته في مواجهة الغرب الذي يمثّل حضارةً عدوّةً للبلد. لكنّ النتائج لم تكن لصالحه: الاقتصاد في انهيار؛ والحرب لم تحقّق أهدافها بل أثبتت أنّه لا عودة إلى روسيا القوّة العظيمة المخيفة لأيّ عدوّ محتمَل.

في مقاله "الصّين/الولايات المتّحدة، أو التقادُم المبرمج لتيوسيديد" يعالج سلجون فرانسوا دي ميجليو Jean-François Di Meglio مسألة حتميّة الحرب بين أمريكا والصين بوصفها استرجاعًا لـ"فخ تيوسيديد." وهي الأمثولة اليونانيّة التي يتبنّاها التحليل السياسيّ اليوم للتعبير عن حرب الزعامة على العالم بين قوة صاعدة (الصين) وقوة مهيمنة (أمريكا). يرى الكاتب أنّ الطبيعة النوويّة المحتملة لهذه الحرب والقدرة المتبادلة على الإبادة تجعل المقايَسة التاريخيّة غير صحيحة. كما أنّ فكرة الهيمنة قد تكون غريبة عن الرؤية الصينيّة التي تبحث عن الاستدامة في العلاقات من خلال "الجذب"، في انتهازيةٍ تُسمّى "نظام الظروف". فرغبة الصين في الحفاظ على مصالحها أكبر من التزامها بفكرة التحالف، ولذلك لم تساند حليفتَها روسيا وبقيت على الحياد هي والهند. "التحالف المتأرجِح" الذي يميّز النظام العالميّ الجديد يثبت أنّ مواجهة الصين لأمريكا ما تزال عتبتها بعيدة.

في مقاله "نحو بروز منظور إستراتيجيّ سواحليّ؟"، يرى نياغالي باغايوكو Niagalé Bagayoko أنّ الصراع السواحليّ لا يمكن حلُّه وفق نماذج لا تنطلق من خصوصيّة

المنطقة، فالوضع أعقد من رؤى المحاولات السابقة التي جاءت من منظور الحرب على الإرهاب في مقاربةٍ ضدّ-تمرُّديّة صيغت في أزمنة الاستعمار. فالجماعات الجهاديّة (المختلفة أيديولوجيًّا وممارساتيًّا وتوغُّلًا ورغم هذا عُومِلت بوصفها وحدةً متجانسة!) ليست السبب الوحيد في التدهور الأمني، بل هناك فاعلون آخرون وعوامل أخرى: الثوّار الانفصاليّون المستقلّون في جنوب مالي بدوافعهم غير الدينيّة؛ وجماعات الطوارق المسلّحة وغير الانفصاليّة؛ والجماعات الإجراميّة التي ليس لها مطالب ولا إطار؛ والخلافات حول تسيير الموارد الطبيعيّة؛ وتوزُّعُ الأمن بين الجماعات المدنيّة والميليشيات؛ وأزمة الحكم والانقلابات العسكريّة. وكلّ ذلك ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار كي يخرج السواحليّون أنفسُهم بمبادرات تعي حاجاتهم "الواقعيّة"، مع ضرورة مراجعة العقيدة الأمنيّة في المنطقة.

احتفاء باليوم العالمي للشعر

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية تنظم الملتقى الشعري الثاني

نظم قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، بجامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، بالتنسيق مع مركز التميز في اللغة العربية الملتقى الشعري الثاني، احتفاء باليوم العالمي للشعر، بمشاركة عدد من الشعراء من داخل الجامعة وخارجها، وذلك ضمن برنامج الأنشطة الأدبية التي دأبت الجامعة على تنظيمها لتحقيق أهدافها العلمية والثقافية.

وتضمنت فقرات الملتقى قراءات شعرية، وكلمات لممثلي الجهات المشاركة في هذه الفعالية، التي هدفت إلى تعزيز حب اللغة العربية في نفوس الناطقين بها، وإظهار الجوانب المضيئة من تاريخ اللغة العربية، وتوطيد مشاعر الوفاء والولاء لعناصر الهوية الوطنية والانتماء الحضاري، وبعث الروح الإيجابية وزرع القيم الإنسانية الراقية بما تتضمنه اللغة العربية من أبعاد أدبية وفنية.

وقالت الدكتورة نجلاء النقبي نائب مدير الجامعة للشؤون الأكاديمية بالإنابة، إن الملتقى يأتي ضمن فعاليات الجامعة وأنشطتها الثقافية، التي تهدف إلى تشجيع المواهب الإبداعية، وتقدير الإبداع الشعري بنوعيه الفصيح والنبطي باعتباره من مكونات الهوية الوطنية، وأحد أهم عناصرها التراثية والثقافية.

يذكر أن تنظيم الملتقى الشعري يعزز اهتمام جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، باللغة العربية وتدريسها ونشر مكنوناتها وتبيان عناصر جمالياتها وإبراز وجهها المشرق، استجابة لتوجيهات القيادة الرشيدة في تعزيز مكانة اللغة العربية في المشهد الأدبي والثقافي والفكري العالمي، ويشكل الملتقى قيمة كبيرة لترسيخ مكانة اللغة العربية باعتبارها رسالة للسلم والمحبة وأداة فعالة للتواصل الحضاري بين مختلف الأمم.

ويعتبر الملتقى أيضا إضافة حقيقية للجهود التي تبذلها الجامعة للاحتفاء باللغة العربية، والاعتناء بها وتعزيز مكانتها باعتبارها الوعاء الناقل للحضارة العربية، والوسيلة لإبراز التراث العربي الأصيل والتعريف بقيمه الإنسانية، وقد تميزت اللغة العربية عبر تاريخها الحافل بقدرتها الكبيرة على استيعاب الثقافات على مر العصور والأجيال، وحملت المضامين الفكرية والثقافية والأدبية والعلمية الثرية، وحافظت بذلك على مكانتها كحاضنة للفكر والإبداع.

جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية تقدم برنامج "طموح" التلفزيوني

بدأت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية، منذ منتصف فبراير الجاري تقديم برنامج " طموح " على تلفزيون أبوظبي، ويسلط من خلال 13 حلقة الضوء على برامج الجامعة العلمية والأكاديمية، ويستعرض مسيرتها في التنمية والتطوير من خلال تخصصاتها المختلفة.

ويستضيف مقدم البرنامج الأساتذة والطلاب للحديث عن رسالة الجامعة ودورها في المجتمع، باعتبارها منارة للعلم والمعرفة والثقافة، إلى جانب سعيها لأن تكون مركزاً أكاديمياً مرموقاً على مستوى العالم، في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية والفلسفة، عبر تقديم برامج أكاديمية متميزة في اللغة العربية وآدابها، والدراسات الإسلامية بفروعها، إضافة إلى تقديم الإسلام والثقافة العربية بطريقة حضارية وإنسانية، تقوم على نشر فضائل التسامح والمحبة واحترام حقوق الإنسان، وإعلاء قيم الاعتدال والوسطية والانفتاح على ثقافات وشعوب العالم المختلفة.

وقال سعادة الدكتور خليفة الظاهري، مدير جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية إن البرنامج التلفزيوني يأتي ضمن دور الجامعة التنويري في المجتمع، وتعزيزا لمبادراتها في ترسيخ القيم النبيلة والأخلاق الفاضلة التي تنسجم مع رؤية دولة الإمارات في نشر التسامح والتعايش السلمي وخدمة المجتمعات البشرية ومد جسور الحوار الحضاري معها.

وأشار إلى أن البرنامج سيتناول من خلال حلقاته مبادئ الجامعة الأساسية المتمثلة في المحافظة على إرث زايد من خلال التركيز على ترسيخ معاني الأخوة الإنسانية والتواصل الحضاري وتحقيق التميز والإبداع، وتقديم الإسلام والثقافة العربية بصورتها الحضارية القائمة على احترام حقوق الآخرين والاعتدال والوسطية.

وأضاف: "تتم خلال حلقات البرنامج استضافة عدد من الأساتذة والمختصين والطلاب والباحثين للحديث أيضاً عن علاقة الطالب بالجامعة واهتماماته وشغفه لدراسة العلوم الإنسانية، والتعرف على الجوانب التي تتعلق بمستقبله الأكاديمي وسيتم تصوير جميع الحلقات في مقر الجامعة ومرافقها المتمثلة في مكتبة بيت الحكمة والقاعات الذكية والمساحات الخضراء الخارجية".

الديانات الإبراهيمية: مُقدِّمة قصيرة جدًا

The Abrahamic Religions: A Very Short Introduction

Charles L. Cohen

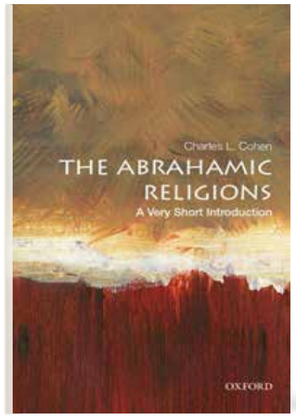

قراءة حيدر حسين
عضو الهيئة التدريسية في
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يحتوي الكتاب على مقدمة وسبعة فصول تتضمن صورًا ورسومًا توضيحية وخاتمة وفهرساً للمراجع وخاتمة تتضمن مزيدًا من القراءة.

في هذا الكتاب الرائع يعرفنا تشارلس كوهين مؤلف الكتاب، في مقدمته، على شخصية النبي إبراهيم عليه السلام فيصفه بأنه شخصية من العصور القديمة، من خلال القصص المتداولة عنه وعن الاكتشاف المفترض للإله الواحد الذي آمن به، و قد يعود ذلك إلى الألفية الثالثة قبل الميلاد.

دخل اسم "إبراهيم" إلى اللغة الإنجليزية القديمة من اللغة العبرية في وقت مبكر من القرن الحادي عشر الميلادي، على الرغم من أن مصطلح "أبراهامي" لم يظهر بمعناه الأصلي -ولم يتعلق اسمه أو سمته التي أصبحت شائعة بالنص التوراتي- حتى عام 1699م.

إن مصطلح "الإبراهيمية" في هذا الكتاب يعني بشكل أساسي "الانتماء إلى مجموعة من الأديان التي تتألف من اليهودية والمسيحية والإسلام، وفي وعي أتباع هذه الديانات أنها تعود في أصولها إلى النبي إبراهيم عليه السلام". وقد أصبح استخدام هذا المصطلح شائعاً في القرن العشرين.

لقد تم تحديث هذا التعريف فأصبحت الملاحظة الشائعة أن اليهودية والمسيحية والإسلام تعرف بـ "الديانات الإبراهيمية" حيث أصبحت مرتبطة بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا. لكن هناك من لا يحب هذا التعبير أو هذا التصنيف.

ويرى المؤلف أن بعض العلماء يعترض على مصطلح "الإبراهيمية" باعتباره مضللاً، لا سيما عندما يبالغ البعض في إثبات التشابه بين الأديان الثلاثة واحتمال أن اليهود والمسيحيين والمسلمين يمكن أن يضعوا خلافاتهم جانبًا كأنّه لا فرق بينهم. بينما يعتبر البعض الآخر أن التصنيف نفسه غير متماسك، نظرًا للانقسامات الأساسية لأتباعه حول مسائل مهمة مثل ما الكتب المقدسة التي يعتبرونها قانونية أو شرعية؟ وما كيفية فهمهم لطبيعة الله عز وجل؟

إنّ عملية إبعاد اليهودية والمسيحية والإسلام إلى مجالات منفصلة تقلل من الصلات بين أتباعها. وعلى الرغم من أنهم سعوا إلى التمييز بين أنفسهم بشكل مثير للجدل أحياناً، فقد أقروا بأنهم يشتركون في إله مشترك واحد ولاحظوا ودرسوا النصوص الشرعية المقدسة لبعضهم البعض.

ويشير المؤلف إلى أنه يمكن للمرء أن يصنف اليهودية والمسيحية والإسلام بشكل مختلف. فمن ناحية، هي ديانات توحيدية لا تشرك بالله عز وجل، وهي أديان تدعم خصوصية وحدانية الله البارئ الخالق. فالإسلام نفسه يقدم وجهة نظر أخرى، يربطها بتقليد من الوحي الإلهي المستمر، الذي كشف عنه الكتاب المقدس والذي يتوج بالقرآن. فيعتبر المسلمون أن اليهود والمسيحيين "أهل الكتاب" وهو الاسم الذي يطبقه ويستعمله المراقبون الخارجيون أحيانًا على المسلمين أيضًا. وبقدر ما تكون هذه التسميات مناسبة إلا أنهم لا يفرقون تمامًا بين هذه الديانات الثلاثة والأديان الأخرى.

لقد كان اكتشاف إسرائيل القديمة للإله الواحد والدين الذي نشأ حول هذا الوعي والفكر متأثرًا بشدة بمسار علاقاتها السياسية والثقافية مع جيرانها.

وفي الفصل الأول من هذا الكتاب يشير المؤلف إلى أن النصوص التي تشكل الكتب المقدسة اليهودية، التي تضمنت تفسيرات لاهوتية لهذا التاريخ. ومع تطور الدين وبمرور الزمن، أصبحت هناك تأثيرات جمة وبشكل أكبر ودخلت افكار جديدة إلى قلوبهم، وانخرطوا مع الديانة الهيلينية، وتورطوا في صراعات شرق البحر المتوسط وممالكها. وبحلول زمن السيد المسيح عليه السلام، كانت الديانة اليهودية قد اتخذت أشكالًا متعددة وظهرت فيها أفكارٌ جديدة مثلها مثل المسيحية والإسلام.

لقد تطورت الديانة اليهودية بشكل أساسي بين الشعوب الناطقة باللغات السامية في الشرق الأدنى القديم، لكنها واجهت روحًا مختلفة تمامًا بعد أن غزا الإسكندر الأكبر، بحلول عام 329 قبل الميلاد، الأراضي التي يقطنها اليهود (التي كانت تعرف بمملكة يهوذا) بما فيها مناطق الشتات. فقد أدى الاندماج في إمبراطورية الإسكندر إلى تعرض اليهود للثقافة الهيلينية، وهي عبارة عن مجموعة ثقافية قائمة على لغة وفكر وعادات وأديان وفنون الثقافة اليونانية القديمة.

فوفقًا لهذه المؤشرات نرى أن هناك خطأً واحداً من الجدل، مثلت فيه الديانة الهيلينية نظامًا غريبًا كان قد أفسد كل مباديء المؤسسات والمعتقدات اليهودية، لكن هذا التفسير يفترض أن اليهودية هي كتلة واحدة قائمة بذاتها. فلذا قد يفهم المرء بشكل أفضل تفاعلها مع الهيلينية كمثال على كيفية امتصاص اليهود (ناهيك عن المسيحيين والمسلمين) للأراء والأفكار القريبة من محيطهم لإثراء تقاليدهم الخاصة بهم مع الحفاظ (بما يرضيهم) على المعتقدات والعادات الأساسية التي كانت دياناتهم قائمةً عليها.

فعلى الرغم من أن قلةً من اليهود الهيلينيين قد تخلوا عن إيمانهم ومعتقداتهم بينما نرى إن بعض التقليديين منهم كانوا قد رفضوا الثقافة الهيلينية تمامًا، إلا أن معظم اليهود استوعبوها إلى حدٍ ما.

في القدس على سبيل المثال، كتب كاتب القرن الثاني المعروف سيمون بن سيرا كتابًا عن المبادئ الأخلاقية التي عرضت التعابير والأفكار اليونانية مع التأكيد على أن كل الحكمة هي ("القانون الذي أمرنا به موسى").

وفي الفصل الثاني من الكتاب يناقش المؤلف نشأة الديانات التي شملت كلاً من اليهودية وديانات الأمم الأخرى وكذلك الديانة المسيحية خلال الفترة الممتدة من عام (200 قبل الميلاد - 200 م) في حقبة الهيكل الثاني لليهودية: التي اعتُبِر فيها السيد المسيح عليه السلام أنه واعظ متجول ضمن التقاليد اليهودية كما تم اعتبار المسيحية طائفة يهودية في بداية الأمر. لكن سرعان ما أصبح الأمر مختلفاً بل شيئًا آخر تماماً، يجذب غير اليهود بينما يمتص التأثيرات من الشعوب التي واجهوها. فهذه الديناميكية تتجلى بين الثقافات في الكتابات التي أصبحت نصوصًا مسيحية مقدسة وفي جهودهم لتجنيد أنفسهم وتمييز أنفسهم عن اليهود الذين "يرغبون في العلامات أو الإشارات" وبين "اليونانيين" الذين "يرغبون في الحكمة" (1 كو 1:22). فمن حيث الشكل والمضمون، تتخطى الكتب المقدسة المسيحية الحدود الثقافية، فقد استخدمت حركة المسيح الكتابات اليهودية كسلطات أساسية لتوضيح الرسالة الجديدة التي جيء بها باللغة اليونانية ونقلتها إلى غير اليهود باستخدام الأنواع الأدبية التي تشير إلى الأدب اليهودي المعاصر التي كانت مألوفة لدى اليونانيين والرومان. يصنف العهد الجديد واحدًا وعشرين كتابًا على أنها رسائل -مقاصد شخصية للنصيحة، والوعظ، والتوجيه- على الرغم من أن القليل منها لا يناسب النموذج بشكل مريح. فلقد تم جمع سبع رسائل على أنها رسائل "عامة"، وهي كتابات شبه متعددة، تعود عادةً إلى أواخر القرن الأول الميلادي، وتتعامل مع الضغوط على المجتمعات المسيحية والخلافات في داخلها. وعادة ما يتم طلب كتابات بولس المعترف بها من أهل تسالونيكي (50م) إلى الرومان (56م) بما في ذلك كورنثوس 1-2 وغلاتينس وفيليبيانس وفليمون وهي من أقدم الأدبيات المسيحية الموجودة آنذاك. لقد زودت الكنائس التي كانت تكافح من أجل تحديد ورسم معتقداتها وممارساتها بمشورة لاهوتية مبتكَرة جداً. فلم تتطرق الرسائل إلى دروس يسوع المسيح عليه السلام، بل تناولت يسوع نفسه - المسيح القائم من بين الأموات الذي حول وحيه المؤلم القس بولس من مضطهد في الكنيسة إلى "رسول" للأمم (رو 11).

أما في الفصل الثالث فمؤلف الكتاب يشرح لنا كيف كان المسيحيون يكافحون لتشكيل تعاليم ديانتهم ومؤسساتهم الدينية. فقد واجه اليهود صعاب جمة ومهمات صعبة في إعادة تشكيل دينهم بعد تدمير الهيكل في عام 70 م وما خلفه هذا الأمر من تأثير على ديانتهم حيث كان عليهم أن ينظموا طرق عبادتهم وشعائرهم التي اعتمدت على وجودها. لقد استثمروا الشرعية في مساحات وممارسات عبر قياداتهم واستنبطوا طرقاً جديدة للتفسير النصي لكتبهم المقدسة. وكذا الحال بالنسبة للمسيحين فكانوا يحاولون تنظيم كتبهم المقدسة، واللاهوت، والتنظيم الكنسي. لقد تشكلت هياكل الهوية هذه عندما سعت كل مجموعة لتمييز نفسها عن الأخرى وتغيرت حظوظها السياسية.

لقد ربط صعود المسيحية داخل الإمبراطورية الرومانية الإيمان بسلطة الدولة بطرق من شأنها أن تُعلم البيان عن مقدماتها اللاهوتية الأساسية وعدم تضخيم الانقسامات الدينية داخل الكنيسة وذلك من أجل رسم مسار العلاقات بين الديانة اليهودية والمسيحية.

لقد كانت الصدمة التي حلت باليهود، أثناء حقبة اليهودية الحاخامية من عام (70م- 640م) كبيرة جداً وذلك بعد تدمير روما للمعبد اليهودي وخراب الهيكل فكان من الصعب تجاوز هذه المحنة. لقد فر الكثير منهم وتركوا يهوديتهم، ومات الآلاف منهم في الأسر أو بيعوا عبيداً. كما فقد الكثير ممن بقوا أراضيهم، وأخضعت روما مملكة

يهودا للحكم العسكري المباشر. كما أن العواقب الدينية كانت أشد خطورةً، حيث فرض الإمبراطور فيسباسيان ضريبة على اليهود لإعادة بناء معبد جوبيتر كابيتولينوس في روما، وقد أصبح اليهود لأول مرة يدعمون مالياً ضريحاً وثنياً فتلاشت أي آمال قد تكون لديهم حول إعادة بناء ملاذهم الخاص إلى الأبد بعد قرار هادريان في عام 130م ببناء معبد مماثل في القدس وما تلاه من إبادة لتمرد بار كوخبا. فاختفت الطقوس اليهودية وشعائرهم الدينية وتمزقت قلوبهم في الفترة التي امتدت بين سقوط الهيكل وبزوغ فجر الإسلام، حيث تمكنت المجتمعات اليهودية حينها ومن خلال بعض قادتهم الروحيين أن يعيدوا تشكيل ديانتهم وممارسة طقوسهم من جديد. فقد استبدلت مؤسسة مجتمعية متعددة الأغراض، قبل ظهور الإسلام، الكنيسة اليونانية، "وهو مكان التجمع المسيحي"؛ بالمعبد اليهودي واعتبرته مركزاً للحياة الدينية العامة. لقد تولت المعابد وظائف كانت تؤدى سابقًا في أماكن متعددة. وتظهر أقدم الأدلة الأثرية أن اليهود المصريين في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد كانوا يتجمعون في بيت للصلاة وليس في معبدهم اليهودي المخصص لعباداتهم وصلواتهم.

إن العلاقات اليهودية المسيحية المبكرة والتي تعود إلى عام (30-640) تطورت جداً وقد أصبحت العلاقات اليهودية - المسيحية المبكرة واضحة المعالم في سياق الإمبراطورية الرومانية. وخلال القرون الثلاثة الأولى من التعايش السلمي، كان اليهود والمسيحيون يعتبرون من الأقليات التي تم التسامح معها، كما كانت ترى السلطات الإمبراطورية إن هذا الأمر مناسب. ولكن غالبًا ما سخر الرومان من اليهود بسبب عاداتهم المميزة والغريبة بالنسبة لهم، ولطالما سحقت الدولة تمردهم. في الوقت نفسه، أعجب بعض الرومان بأخلاق اليهود وإيمانهم بإله واحد، واحترموا اليهودية لعصورها القديمة المحافظة على التوحيد بالله عز وجل، واعتبروها أصلًا للفلسفة اليونانية، مما جعل أفلوطين نموذجاً لهذا الاعتقاد، وهو المفكر من القرن الثاني.

في الفصل الرابع يحدثنا المؤلف عن الإسلام وبداياته باعتباره ديناً سماوياً وعن الدولة والسياسة التي امتدت من عام (600م-1258م) وكيف نشأ هذا الدين الجديد في منطقة تنازعت عليها إمبراطوريات متنافسة وسكنتها مجموعات دينية متنوعة، فبنزول الوحي على النبي الكريم وتسلمه الرسالة الربانية التي تم تدوينها فيما بعد بالقرآن الكريم حيث تم ذكر القصص اليهودية والمسيحية في سوره المباركة ووضعها بشكل واضح وجلي إضافةً إلى الأحاديث النبوية الشريفة التي فسرت الكثير من تلك الآيات وقصص الأنبياء حينها أكد المسلمون أنهم استعادوا الدين الأصلي لسيدنا إبراهيم عليه السلام.

لقد كانت الأمة الإسلامية في بدايتها هيئة سياسية تحكم وفقاً لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتعاليم الخلفاء الراشدين.

فلم تكن شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي مركزاً اقتصادياً أو سياسياً، لكن صلاتها الواسعة وحدودها المترامية الأطراف ساعدت في جعلها ذات موقع مركزي وحيوي أثمر نشوء حركة دينية كبرى بشرت بالإسلام.

لقد كانت معظم مناطق شبه الجزيرة العربية بدوية تتبادل المنتجات الزراعية والحيوانية تتمثل بالتمر والقمح المزروع في مناطق الواحات وماحولها مثل يثرب والطائف واليمامة. فالقبائل المحلية شكلت إدارة الدولة في البدء وليس الدولة المركزية أو المنظمات السياسية الرئيسية.

فكان من الصعب إعادة بناء الحياة الدينية للسكان الأصليين، لأن الدين الإسلامي وصف عصر ما قبل الإسلام بالجاهلية، وهو زمن الجهل الذي كان الناس يعبدون فيه الأصنام والنجوم والصخور، التي غالباً ما كانت محاطة بمناطق مقدسة عندهم حيث كانت القبائل المعروفة آنذاك تقوم بالحج إليها، لاسيما الكعبة المشرفة باعتبارها مراكز المونوفيزيين لتسوق القوافل. وبحلول القرنين الخامس والسادس الميلاديين سكنت القبائل اليهودية في الواحات والقرى العربية في غرب شبه جزيرة العرب كما فر المسيحيون النسطوريون من الأرثوذوكسية المتطرفة إلى بلاد ما بين النهرين بينما انتقل المونوفيزيون من الكنيسة القبطية المسيحية في الإسكندرية إلى شمال الصحراء السورية وجنوب شبه الجزيرة العربية.

لقد أطّلع اليهود والمسيحيون على فحوى الرسالة التي جاء بها النبي الكريم والتي أوحى بها الله عليه. اطلعوا على تعاليم الإسلام بشكل عام وهذه المسألة كان لها وقع حساس للغاية عليهم خلال القرن السابع الميلادي حيث يوضح القرآن الكريم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً، وهو شخص "مستقيم" رفض عبادة الأصنام وخضع بالكامل لإرادة الله جل وعلا. فهو يرفض الشرك بالله والذي كان سائداً آنذاك. فعلى عكس ما حدث مع التوراة والإنجيل (العهد القديم والعهد الجديد) لم يخضع القرآن الكريم لعملية تقديس بل كانت القدسية لله وحده لا شريك له وكان القرآن دستور الأمة الإسلامية وشريعتها المنزلة من الله تعالى وقد دوّن القرآن في مصحف بعد مرحلة التسجيل على سعف النخيل والعظام والرقوق إلى أن جاء حكم الخليفة الراشد عثمان بن عفان

الذي حكم من عام (644م-656م)، حيث عيّن لجنة لإنتاج مخطوطة كاملة للقرآن الكريم ووزعها على كافة المسلمين في المدن والأمصار. وهناك من يرجع أول نسخة كاملة للقرآن الكريم إلى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني والذي حكم من عام (634م-644م).

في الفصل الخامس من الكتاب يشرح المؤلف تفاعلات القرون الوسطى (700-1500) حيث أثّر ارتباط الإسلام الوثيق بالدولة وتعاليم الدين الإسلامي إذ كان التلاؤم مع الدولة كبيراً، وأصبح هذا الأخير هو النظام الرئيسي لترتيب المجتمعات الإسلامية وتأطير تفاعلات المسلمين مع كل من المسيحيين واليهود.

لقد عمّق ارتباط المسيحية والإسلام بقوة الدولة وكذلك الأيديولوجيات التي يمكن أن تبرر العمل العسكري ضد الآخر، وعلى الأخص في فترة الحروب الصليبية. فالطوائف الدينية -اليهود والمسيحيون في الأراضي الإسلامية، واليهود والمسلمون في الأراضي المسيحية- غالبًا ما عاشوا حياة محدودة ومنظمة، لكن المسيحيين وخاصة في البلاد الإسلامية سُمح لهم بممارسة حياتهم الطبيعية، وممارسة أعمالهم اليومية عبر مبدأ التسامح والعيش المشترك، وكذلك بالنسبة للتبادل الثقافي والفكري المكثف الذي كان سائداً في تلك العقود دون تجاوز مبادئ الإدارة المنظمة للدولة. كانت الشريعة الإسلامية مشجعة لكافة الأديان وقد أصبحت الأفكار اللاهوتية أكثر منهجية مع توسع المسلمين في انتشارهم الفكري النيّر السمح. ففي عهد الدولة العباسية المبكر نرى تقارب ثقافات الإمبراطورية الواسعة المختلفة تحت راية الإسلام وذلك سعيًا لاكتساب المعرفة العملية في الفنون والآداب والعلوم. فالدولة رعت "بيت الحكمة" في بغداد، وقد قام العلماء -بمن فيهم غير المسلمين- بترجمة النصوص السريانية والآرامية والفارسية والهندية واليونانية إلى اللغة العربية.

كما أن الفلسفة الإسلامية اتخذت موقعاً مميزاً ومكانة مرموقة مماثلة في تلك الحقبة. لقد نبتت علوم الفلسفة في البيئة المناسبة والخصبة التي رعت علم الكلام وأضافت هدفًا اعتذاريًا غفرانيًا حافلاً بالأخلاق الفاضلة، مع التأكيد على القدرة الفائقة على تصور الله تعالى بصدق وعبادته كخالق وحيد للكون.

أما بالنسبة للأقليات الدينية في العالم المسيحي ودار الإسلام للفترة الممتدة من (حوالي 700 - 1500 م) فالحروب الصليبية تمثل فيها نوعًا واحدًا فقط من التجارب المترابطة والبارزة في هذا الشأن. فلقد كان المسيحيون والمسلمون يسكنون بشكل روتيني جنباً إلى جنب ويتعاونون في الولايات القضائية بعضهم لبعض، كما فعل اليهود، الذين لم يديروا دولتهم في العادة. ففي واقع الحال وضعت دار الإسلام والمسيحية القواعد المختلفة التي تحكم معاملة الأقليات الدينية وفقًا لمبادئ متنوعة تمامًا وبحكم قوانين الأديان. لقد ساعدت الظروف داخل دار الإسلام -حدوداً قابلة للاختراق، وشبكات تجارية متوسعة، ولغة مشتركة (العربية)- كل هذه الأمور ساعدت على انتشار نسخة موحدة نسبيًا من اليهودية الحاخامية على نطاق واسع أكثر من ذي قبل. لقد شارك اليهود في الأجواء الفكرية القوية لبغداد العباسية المبكرة، حيث طبق الحاخام سعديا غاؤون الكلام وعلم اللغة المتبادل وعمل على التوفيق بين التقليد اليهودي والفلسفة اليونانية باللغة العربية التي كانت اللغة الأم والشائعة بين أهل الأديان.

يمكن تمييز هذه المرحلة مع التزامن الأوسع في أعمال وكتابات حاخامات اليهود وإبداعهم في تفسير النصوص الدينية وكتب الأنبياء والتوراة، ولطالما سار العلماء اليهود على خطى نظرائهم المسلمين في تثبيت نص القرآن، وقد قاموا بحلول نهاية القرن العاشر بتوحيد نص التناخ (العهد القديم) وكتب الأنبياء المقروءة والمكتوبة، وحروف العلة، وعلامات الترقيم. ومع تراجع الخلافة العباسية، هاجر يهود كثيرون ممن تأثروا بالفكر الإسلامي والفلسفة العربية والإسلامية مثل العالم اللغوي والمفسر والفيلسوف الكبير موسى بن ميمون إلى مصر. لقد خدم موسى بن ميمون القائد صلاح الدين الأيوبي وعمل عنده كطبيب في البلاط، وهوعالم أخلاقي ومفسر بارز لكتب التوراة والمشنا وكان فيلسوفاً متأثراً بالفلاسفة العرب والمسلمين.

لقد لفتت شبه الجزيرة الإيبيرية في العصور الوسطى الأنظار لازدهارها وتقدمها خلال العصر الذهبي، وخاصة بلاد الأندلس أي (الجزء الذي يحكمه المسلمون) وتركت انطباعاً متميزاً باعتبارها المكان الأول الذي يمارس فيه اليهود والمسيحيون والمسلمون التعايش السلمي والمجتمعي "العيش معًا" ومثل هذا التقييم يستدعي الإشارة إليه. فخلال ما يقرب من ثمانية قرون من الزمان، حُكم الأندلس من قبل أنظمة ذات سياسات معتدلة للغاية تتسم بالعدالة واحترام الأقليات في الحقوق والواجبات.

أما الفصل السادس فتأتي أهميته

من كونه يناقش فترة عصر الإصلاح والتنوير والذي امتد من عام (1500م إلى1800م).

فمنذ عام 1500، كان على اليهود، والمسيحيين، والمسلمين أن يحددوا أنفسهم في مساحات واضحة خاصة بهم حيث التوسع العالمي للإمبراطورية الأوروبية (المسيحية). فبدأ الشك والفرقة المتزايدة بين الأديان في الظهور، كما ظهرت الدول المركزية ذات الحكم والفكر الواحد.

إن هذه التغييرات أدت إلى زعزعة الطرق المألوفة التي يفهم ويعمل بها اليهود والمسيحيون والمسلمون وفقاً لتقاليدهم، وهذا الأمر حفز حركات الإصلاح والتجديد. لقد أدت حركات الإصلاح والتجديد إلى انقسام الكنيسة الغربية، مما زاد من تعقيد الهوية المسيحية. حيث تعتقد حركات التنوير أنه يجب العمل على رفع مستويات استخدام العقل والأدلة التجريبية على التفرد بالفكر الواحد وضرورة اتخاذ مبدأ الحكمة المستقبلية كمسارات سابقة للمعرفة، متحدية مكانة تفرد لدين في عموم الدول الأوربية.

في الفصل السابع والأخير من هذا الكتاب يشير المؤلف إلى المواجهات الحديثة والتي امتدت من عام (1500 إلى 2010)، حين أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة الأبرز في العديد من أقوى دول العالم، مما سهل انتشارها عالميًا. وحين تمت استعادة السيادة السياسية من قبل المسلمين في دول عدة في كل من آسيا وأفريقيا بعد انتهاء فترة الاستعمار في القرن العشرين، فساعد هذا الأمر على إعادة التأكيد على الأهمية التأسيسية للإسلام ومبادئه الأصيلة وللثقافات السياسية في تلك المناطق. في غضون ذلك، أعاد يهود العالم تنظيم أنفسهم بشكل أساسي في دولة إسرائيل والولايات المتحدة، وهي دولة لم تروج رسميًا لأي دين بينما تعلن نفسها على أنها مسيحية الثقافة ولكنها ملتزمة أيضًا بحماية الدول العبرية .وبالحريات الدينية.

أما بالنسبة لعالم الدين والسياسة في الدول الإسلامية الحديثة بين عام (1900إلى2010) فيقول المؤلف إننا نجد المسلمين اليوم يعيشون في كل من إفريقيا وأوراسيا، فمن مضيق جبل طارق إلى مضيق ملقا، ومن مدغشقر إلى القوقاز. فحتى عام 2010، نجد المسلمين يمثلون القسم الأكبر من أهم الالتزام الديني في عالم اليوم ويقدر عددهم بنحو 1.6 مليار مسلم -وهم ثاني أكبر مجموعة من أتباع الديانات- في عالم اليوم.

ختاماً يشير المؤلف إلى الظروف التاريخية التي كانت قد لونت الصورة في التعايش المشترك وكيف بنى أعضاء الطوائف الإبراهيمية هوياتهم وكيف نظر كلٌ منهم إلى الآخر. فبين التفكير في الروابط المتصورة بين التقاليد التي ينطوي عليها مفهوم الأديان الإبراهيمية ومفهوم اليوم للديانات الإبراهيمية نجد أن المؤيدين المعاصرين للديانات الإبراهيمية ربطوا إيمانهم بإبراهيم عليه السلام - فبالنسبة لهم هو المضيف الشغوف لثلاثة غرباء يظهرون فجأة خارج خيمته (تكوين 18: 1) - باعتباره نموذجاً لكيفية تعامل أحفاده الذين يتعودون على النظر إلى بعضهم بشكل أكثر كرمًا وتعايشاً مما كانوا عليه في الماضي وبخاصة المسيحيون والمسلمون.

التخلّي عن المهمّة الكبرى أو دواعي استقالة البابا
Il gran rifiuto:
Perché un papa si dimette
Roberto Rusconi

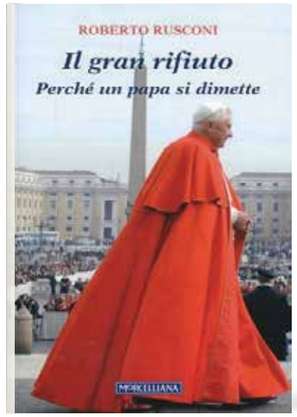

قراءة عز الدين عناية
أستاذ بجامعة روما

منذ رحيل البابا "الفخري" جوزيف راتسينغر، في الحادي والثلاثين من ديسمبر 2022، صدرت باللغة الإيطالية جملة من الأعمال ناهزت العشرين عملاً، تناولت شخصية راتسينغر من زوايا عدّة: اللاهوتي، والمفتّش المكلّف بمجلس مراقبة العقيدة، وبابا الكنيسة الكاثوليكية. اختلفت القراءات وتنوّعت، ولكنّها التقت حول فكرة أنّ راتسينغر كان بابا إشكاليا لِما مثّله من توجّه لاهوتي محافظ. الكتاب الحالي الذي نتولى عرضه "التخلّي عن المهمّة الكبرى.. أو دواعي استقالة البابا"، هو من ضمن المؤلفات التي حاولت تفهّم الإحجام عن أداء دور البابا عبر تاريخ الكنيسة، وتنزيل ذلك الخيار ضمن سياقه التاريخي. إذ مثّل خيار التنحّي حدثاً لافتاً في التاريخ الكنسي ومنعرجاً حاسماً. والكتاب هو من تأليف أستاذ التاريخ، الإيطالي روبرتو روسكوني، المتخصّص في الحركات الدينية والمؤسسات الكنسيّة.

سعى المؤلف عبر محاور الكتاب الخمسة إلى معالجة قضيتين أساسيتين: استعرضَ ضمن الانشغال الأول الجانبَ التاريخي لما أطلق عليه "التخلي عن المهمة الكبرى"، أي الإعراض عن مواصلة تحمّل التكليف المنوط بعهدة البابوات في قيادة الكنيسة. وأتى على جملة من الحالات والأوضاع التي ألمت بذلك الكفّ. وضمن الانشغال الثاني في الكتاب، سلّط الكاتب الضوء على ما حصل مع راتسينغر من قرار حاسم بالتنحي، وما خلّفه من أثر على نظام سير الكنيسة، وما كان له من وقْع في نفوس الأتباع. فبعد التمهيد، يعيد المؤرخ روسكوني في مؤلفه، بناء أحداث تخلي أحبار الكنيسة عن مهامهم الحبرية، منذ عهود المسيحية الأولى وإلى غاية فترتنا الحالية. وبشكل عام مثّل الإحجام عن متابعة تحمّل الدور المنوط برأس الكنيسة، سواء في عهود المسيحية الأولى التي ميزها الاضطهاد، أو في القرون الوسطى المشوبة بالتجاذبات الدينية والسياسية، منعطفاً حاسماً.

يُبرز المؤلف في القسم الأوّل أنّ إحجام الحبر الأعظم عن تولي مهمة سدة بطرس قبل الحقبة المعاصرة، كان في الغالب الأعمّ يأتي ضمن تشابك الدنيوي بالديني؛ ولكن منذ استقلال حاضرة الفاتيكان كدولة ذات سيادة باتت الاستقالة شأناً كنسياً داخلياً. وبناءً على ما يستعيده المؤرخ روسكوني من وقائع يبقى الحدث جسيماً، وإن تكرّر عبر تاريخ الكنيسة. ففي قرون المسيحية الأولى أتى التخلي في الغالب الأعمّ تحت الضغط، جرّاء تفاقم حملات الاضطهاد التي تعرّض لها المسيحيون. ويُعدّ القديس كليمنت الأول أول بابا يتخلى عن منصبه (تَرجَّح فترة بابويته بين سنتي ٦٨ و ٧٦م)، وهو البابا الثالث في سلسلة أحبار الكنيسة بعد القديسين بطرس وبولس. كان سبب التنحّي عزله ونفيه من قِبل الحاكم الروماني إلى بلاد القرم.

مع تحوّل المسيحية إلى ديانة معترَف بها، على إثر إعلان ميلان (313م) في عهد الإمبراطور قسطنطين، ثم إلى ديانة رسمية، مع إعلان تسالونيك (380م) في عهد الإمبراطور ثيودوسيوس، لم ينج رأس الكنيسة من الملاحقة والمتابعة. لتعود موجة الاستقالات في القرون الوسطى حين كانت الكنيسة تتطلّع إلى استقلال عن السلطات الإمبراطورية، ولا سيما إبّان القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين. كما مثّل الصدام بين البابوات، بسبب التصارع على الشرعية، محور التخلي عن المهمة البابوية، وكان من أبرز الوجوه حينها البابا سلستين الخامس الذي اعتلى السدّة البطرسية لبضعة أشهر خلال العام 1294م، ثم "اعتُقِل" من قِبل البابا اللاحق إلى حين وفاته في الاعتقال. كما جرت استقالات أخرى إبان أوضاع الانشقاق في منتصف القرن الرابع عشر، لم تكن عفوية بل أتت في معظمها تحت الضغط والتهديد. واستمرّ التلويح بالتخلي عن دور البابا إلى الحقبة المعاصرة، تحت مبررات مختلفة، كما حصل ذلك مع بولس السادس ويوحنا بولس الثاني، غير أنها لم تفعّل.

والملاحظ مما يستعرضه المؤرخ روسكوني من حالات الاستقالة، الطوعية والقسرية، أنّ ذلك الخيار كان دائماً معبّراً عن حالات اضطراب أو وهن تمرّ بها الكنيسة، ومع ذلك مثّل استراتيجية لتجنّب الأسوأ.

في القسم الثاني من الكتاب، يُبرز المؤرخ روسكوني أنّ قضية الاستقالة ليست مسألة غير مطروحة في الأوساط المتنفذة في حاضرة الفاتيكان، في التاريخ المعاصر، ولا سيما في دائرة الكرادلة، ولكن ذلك المجلس المضيق كان غالباً ما يشدّ أزر البابا لتحاشي ذلك الخيار، بوصفه خيار الضرورة القصوى، لِما له من أثر واضح على نظام سير الكنيسة ووطأة في نفوس الأتباع. فمع البابا يوحنا بولس الثاني، مثّلت العشرية الأخيرة من حياته فترة حرجة في تاريخ البابوية. ومنذ أن بدأت ملامح إصابته بمرض الباركنسون، سنة 1991، وأتبعه خضوع البابا في السنة الموالية لاجتثاث ورم خبيث (كان البابا حينها في سنّ الخامسة والسبعين) بدأ تداول فرضية الاستقالة في الأوساط المضيّقة، ولا سيما من قبل خبراء القانون الكنسي بقيادة الكردينال فينشينسو فاجيولو حينها. كانت الاستقالة فرضية مطروحة دائما في الأوساط الكنسية إلى أن تحوّلت إلى واقعة حقيقية مع البابا راتسينغر، أدركت الكنيسة معها ما لها من أثر واقعي.

وكما يرصد الكاتب، مثّلت استقالة راتسينغر، في حقبتنا الراهنة، حالة لافتة وأثارت لغطاً واسعاً، في شتى أنحاء العالم. ناهيك عمّا خلّفته من جدل بين خبراء القانون الكنسي (أنطونيو سوشي في كتابه: "ليس فرنسيس في عين العاصفة بل الكنيسة"، منشورات مونـدادوري، ميلانو 2014)، و(أنطونيو شيونشي في كتابه "شيفرة راتسينغر"، منشورات بيوبلو، ميلانو 2022)، ليستقرّ الرأي على أن جورج ماريو برغوليو (البابا فرنسيس) هو بابا الأمر الواقع، وأنّ راتسينغر هو "البابا الفخري" مع احتفاظ الأخير بنعت "قداسة البابا". وذلك استناداً إلى نص "القانون الكنسي" المصادق عليه عقب التنقيحات الجارية في عهد كارول ووجتيلا (البابا يوحنا بولس الثاني) أنه "في حال تخلي الحبر الروماني عن مهامه، فإنّ قرار التنحّي ينبغي أن يُتّخذ بشكل تلقائي، ويُعبّر البابا بشكل صريح عن ذلك، ولا يتطلّب القرار طرفا يقبل به (الفقرة الثانية من القانون الكنسي 332 المتعلقة بالمهام البابوية).

وبما أنّ التخلي عن المهام البابوية في القانون الكنسي ليس حقّا ملغى أو غير مألوف، ولكن عنصر الجرأة مع راتسينغر هو ما أثار ضجّة حول العملية. فبعد أن استتبّ الأمر على مدى قرون (آخر استقالة حصلت مع البابا غريغوريوس الثاني عشر 1415 م)، عُدّ خيار الاستقالة من الماضي، وأنّ الكنيسة قد باتت في مأمن من لجوء الحبر الأعظم إلى هذا القرار الخطير. وإن كان في الفترة المعاصرة وفي أوج الحرب العالمية الثانية، مع انهيار النظام الفاشي (25 يوليو 8 سبتمبر 1943) واجتياح النازيين إيطاليا، أن البابا بيوس الثاني عشر (أوجينيو باشيللي) حزم حقائبه حينها للاستقالة وأعدّ رسالة للتنحّي من باب الحيطة، وذلك جراء خشيته من الاعتقال، لأن هتلر كان يتّهمه بالتخلي عن دعم حليفه موسوليني.

لم تنحصر استقالة راتسينغر في إثارة إشكال قانوني، بل تعدّت ذلك إلى بثّ استياء واسع في نفوس المؤمنين. علّق كاهن إيطالي على الحدث قائلا: "كأنّ الخرفان قد فقدت راعيها، يأتي الناس إلى الكنيسة في حالة ارتباك وحيرة. لذا توجّب عليّ تفسير الحدث للجميع فرداً فرداً". والواقع أن البابا -على رفعة مقامه في قلوب أتباعه- هو كما يقول الكاتب بيار مارشان في مؤلف "كيف تصير بابا؟" (منشورات بيامي، روما 2007) بشرٌ يذكّر الملتفّين حوله من عامة الأتباع أنه يجري عليه ما يجري على غيره من أحوال البشر من تعب وإرهاق، وأزمات نفسية ووجودية، وربما من زلل وخطأ، بعيداً عن العصمة المطلقة التي تضفى عليه.

يتابع المؤرخ روسكوني مسار راتسينغر العلمي واللاهوتي مبرزاً مساره الثري، ففي مستهلّ مشواره التعليمي جال راتسينغر بالعديد من كليات اللاهوت الألمانية، في بون ومونستر وتوبنغن، إلى أن عُيّن أستاذاً للّاهوت العقدي وتاريخ العقائد في جامعة ريجنسبورغ، الجامعة التي انطلقت منها شرارة توتر العلاقة مع العالم الإسلامي في العام 2006. وقد بدأ انضمام راتسينغر الفعلي إلى دائرة المؤسسة الكنسية في سنة 1977، في عهد يوحنا بولس السادس، على إثر تعيينه رئيس أساقفة موناكو بافييرا. ثم جرت ترقيته في العام نفسه إلى رتبة كردينال لينضمّ إلى مجلس منتخبي يوحنا بولس الأول سنة 1978 ثم لاحقاً يوحنا بولس الثاني، الذي تعيّن في عهده راتسينغر رئيس "مجلس مراقبة العقيدة" (الاسم الجديد لديوان التفتيش الروماني)، وقد ترأسه إلى غاية العام 2005. عبر مسيرته الإكليروسية كان راتسينغر لاهوتياً مقدّراً في الأوساط الكنسية، وعلى مدى أربعة عقود منذ تولّيه رئاسة "مجلس مراقبة العقيدة" ثم كرسي البابوية، طبع الكنيسة بطابع خاص، وخلّف خطّا أرثوذكسياً مميّزاً سواء في اللاهوت الكاثوليكي أو في المؤسسة الكنسية. واللافت في هذا المسار الحافل أنّ راتسينغر استهلّ مشواره بوصفه لاهوتياً "تقدّمياً" مجدّداً لينتهي إلى لاهوتي "محافظ" متشدّد. فقد كان في البدايات يُصنّف في عداد كوكبة اللاهوتيين "الحداثيين" الأمر الذي أجبره على إعادة صياغة رسالة التخرج الأكاديمية. كما كان من المتردّدين على كارل رانر وهانس كونغ (Kung)، من أبرز وجوه التحررية حينها، ليتحوّل لاحقا إلى الشق المحافظ والمتصلّب في اللاهوت الكنسي.

وبعيداً عن أوضاع راتسينغر الصحية التي برّر بها خيار الاستقالة، بناءً على ما صرّح به أمام مجلس الكرادلة: "بعد تفكير عميق، استقرّ اليقين لديّ بأنّ قواي ما عادت تسمح لي بممارسة المهمة البابوية بشكل ملائم نظرًا للتقدّم في السنّ. فأنا على يقين أنّ هذه المهمة، ولأهميتها الروحية، لا يكفي أداؤها بالأعمال والأقوال فحسب. وفي عالم عرضة للتغيرات المتسارعة وتجتاحه قضايا شائكة بخصوص الحياة والإيمان، من الضروري سلامة الجسد والروح أيضاً، لقيادة سفينة بطرس وإعلان البشارة، وقد شهدتُ تراجعا في الأشهر الأخيرة، جعلني أقرّ بعجزٍ عن أداء المهمة المنوطة بي على أحسن وجه". رغم هذه التبريرات جرى التساؤل حول الأسباب العميقة لاستقالة البابا. فهل الأمر هو جراء أزمة صحية شخصية أم هو نابع بفعل أزمة مؤسّساتية؟ فما من شك أن طبيعة راتسينغر المحافظة قد أملت عليه أن يكون منساقاً ضمن توجه انفرادي، آمن فيه أنه قادر على خوض غمار تغيير لاهوتي دغمائي، يعيد للكنيسة التوماوية ألقها اللاهوتي المحافظ، وهو تغيير تحتاج الكنيسة معه إلى غطاس جديد للتطهر من جحافل "الفرّيسيين". تبدو المهمة في منتهى الخطورة كون مؤسسة الكنيسة في روما هي مؤسسة متشعّبة ومتداخلة الأجنحة والسلطات.

وفي القسم الأخير من الكتاب، يحاول المؤرخ الذهاب بعيداً للإحاطة بالأجواء التي دفعت البابا لاتخاذ قراره الحاسم. فمنذ تولّي راتسينغر مهام البابوية أدرك خطورة ملفّات ثلاثة داخل الكنيسة: ما يدور حول "مؤسسة الأعمال الدينيّة" المعروفة بـ "الإيور"، وهي العصب المالي والاقتصادي في حاضرة الفاتيكان، وتحت طأة المسألة الجنسية سواء في جانبها المسيئ لهيبة المؤسسة جراء الاعتداءات على القاصرين، أو ما تعلق منها بالطروحات اللاهوتية للتحرر من العزوبة في أوساط المكرَّسين، وما يمثله ذلك من ارتهان إلى باراديغمات القرون الوسطى الدينيّة بحسب البعض؛ وتغوّل جهاز التسيير الكنسي، الذي بات جهازاً بيروقراطياً يخنق روح الكنيسة. وقد سبق أن أشار راتسينغر بنفسه في مؤلف بعنوان "نور العالم" (منشورات مكتبة الفاتيكان، ومن إعداد مدوّن سيرة البابا بيتر سيفالد، 2010)، أن الكنيسة توشك أن تتحوّل إلى "مؤسسة مغرقة في الدنيوية" على غرار غيرها من المؤسسات.

ومما يدعم ما ذهب إليه المؤرخ روسكوني، من تفاعل عديد القضايا في الحثّ على خيار الاستقالة، ما أورده جانفرانكو سفيدركوسكي، مدير تحرير صحيفة حاضرة الفاتيكان "لوسـزفاتوري رومانو" الأسبق، في كتاب صدر له في إيطاليا بعنوان: "طوارئ في الكنيسة". أن كنيسة روما تعيش انفصالاً عن جذورها، بعد أن بات الولاء فيها إلى إكليروس الكرادلة والأساقفة، مقدَّماً على الولاء للناموس. ربما العنصر الأخير -المتمثل في إدراك تغوّل الجهاز الكنسي- هو الهاجس الأبرز الذي أحرج راتسينغر على مدى سنوات بابويته. ففي كتاب "نور العالم" آنف الذكر أشار راتسينغر إلى ضرورة تحرير الكنيسة من وطأة المؤسّساتية الطاغية والجهاز البيروقراطي الجاثم، اللذين يوشك كلاهما أن يخنقا روح الدين. وقد أعلنَ أمام الكوريا الرومانية -هيئة كبار الكرادلة التي تتشكل من الجهاز الإداري والتسييري للكرسي الرسولي- قبل اتخاذ قرار الاستقالة "إنّ جوهر أزمة الكنيسة هو أزمة لاهوتية. وفي حال تعذّر إيجاد حلول، وعدم استعادة الإيمان حيويته، ليصبح قناعة عميقة وقوة حقيقية بفضل اللقاء مع يسوع المسيح، فإنّ مجمل الترقيعات الأخرى تُعَدّ لاغية".

بدأت فكرة الاستقالة إذن تخامر راتسينغر بإلحاح، قبل سنتين من مغادرة القصر الرسولي. تَرِد في كتاب "نور العالم" إجابة لراتسينغر عن سؤال بشأن فرضية الاستقالة: "حين يصل البابا إلى قناعة واضحة بعجز بدني، أو نفسي، أو عقلي، في تولي المهمة المنوطة بعهدته، فمن حقّه، بل من الواجب عليه الاستقالة". والملاحظ أنّ قرار الاستقالة لم يكن مفاجئاً للأوساط المتابعة للشأن الفاتيكاني، كما يرصد المؤرخ روسكوني. فقد بدأت تسري أخبار عن احتمال تنحّي راتسينغر، طفحت في صحيفتي "إيل فوليو" و"ليبيرو" الإيطاليتين، وقد أوردت الأخيرة في الخامس والعشرين من سبتمبر 2011 مقالاً عن نوايا الاستقالة ببلوغ راتسينغر سن الخامسة والثمانين. والواقع أن أحداث "فاتيليكس"، المتعلّقة بالوثائق المسرَّبة من مكتب البابا، التي جرت في مطلع العام 2012 قد أفاضت الكأس. فقد بدأ البابا يفكر بشكل جدّي في الاستقالة، بعد يقين لديه أن "الكوريا الرومانية"، الجهاز الاستشاري والتنفيذي المقرّب من البابا، قد بات عرضة لما أصاب الكنيسة من عاهات بيروقراطية.

صحيح أنّ راتسينغر صرّح أنه لن يهجر الصليب، على إثر تقديم استقالته ومغادرته القصر الرسولي في حاضرة الفاتيكان، ولكن نمطًا كاثوليكيًا متشدّداً أفلَ معه. شرعت الكنيسة بقيادة البابا فرنسيس في تصحيح ما ألمّ بها في عهد راتسينغر، ولعلّ أبرز خيارات ذلك التحول التاريخي الحاصل كان مع توقيع البابا فرنسيس "وثيقة أبوظبي للأخوة الإنسانية" (٢٠١٩) رفقة الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف.

البرديات:
ظهور الكتب في العالم القديم
PAPYRUS,
THE INVENTION OF BOOKS IN THE ANCIENT WORLD
Irine Vallego

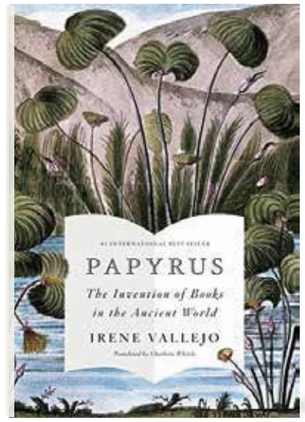

قراءة محمد السماك
كاتب سياسي ومختص
بالحوار الإسلامي - المسيحي

تذكّرنا الكاتبة الإسبانية "إيرين فاليجو" في الفصل الأول بموقفين سلبيين من الكتاب لأهم فيلسوفين عالميين منذ العهد الروماني الأول. تقول إنّ سقراط حذّر من أن الكتاب سوف يجعل الإنسان ضعيف الذاكرة لاعتماده على النص المكتوب. وأنّ أفلاطون تخوّف من أنّ الكتاب يؤدي الى ما سمّاه "تعفّن النسيج المعنوي في جمهوريته". ولكن ذلك لم يَحُلْ دون تطور الكتاب وانتشاره. وبالفعل فقد عُثر في بقايا مدينة بومباي -غرب نابولي- التي دمّرها بركان "فيزوف" واجتاحتها سيوله البركانية، على جثث متحجرة، كما عُثر على أكثر من خمسين نصاً للأديب اليوناني "فيرجيل" منقوشة على جدران المنازل التي اجتاحتها تلك السيول .

مع ذلك فان الإحصاءات المعاصرة تؤكد صدور كتابٍ جديدٍ كل نصف دقيقة. ولم يغيّر من هذه الوتيرة المتصاعدة انتشار "الكتاب الإلكتروني".

تقول الكاتبة إنّ بركان فيزوف قضى على الكثير من المكتبات العامة والخاصة. وإنّ الإمبراطور "دوميتيان" أحرق ربما عدداً أكبر من النصوص. وتقول إن هذا ما فعله العهد النازي في ألمانيا في العصر الحديث أيضاً، فقد جرى في الثلاثينات من القرن الماضي إحراق 5500 كتاب اعتبُرت خطراً على النظام العام.

وتقول المؤلفة إنه حتى في العهد الروماني كان إنقاذ الكتاب من الحريق يتم إما من خلال إخفائه أو حتى من خلال حفظ نصوصه، تمهيداً لإعادة نسخه من جديد. وتقول إن الروس في العهد السوفياتي الستاليني المتشدّد عمدوا إلى حفظ قصائد الشاعرة " آنّا أخماتوفا" بعد أن مُنعت طباعتها، وتروي المؤلفة حادثة عثور والدها على نسخة مُستخدمة من كتاب دونكيشوت في أحد بيوت بيع الكتب تحتوي بين صفحاتها على كتابات لكارل ماركس كانت ممنوعة من التداول في أسبانيا في عهد الجنرال فرانكو.

بدأ الكتاب، كما تعتبر المؤلفة الأسبانية، في العهدين البابلي والآشوري في بلاد ما بين النهرين (العراق اليوم)، ولكنّ لم يكن الورق قد عُرف بعد. فكانت الأفكار تُحفر على ألواح من الطين وتُحفظ فوق رفوف خاصة. وقد عُثر على رفوف هذه الكتب منذ عقود بعضها محفوظ اليوم في المتحف العراقي، وكثير منها نُقل إلى متاحف عالمية في أوروبا والولايات المتحدة. ثم تطورت الكتابة من الحفر على الطين إلى كتابة المخطوطات التي كان طول الواحدة منها يصل إلى ثلاثة أمتار.

قبل أن تجتاح الفيضانات مدينة نينوى في المملكة الآشورية، أبدى الملك آشور بانيبال (668-627 قبل الميلاد) اهتماماً بالألواح الفخارية التي تتضمن نصوص الطقوس والشعائر الدينية والتي تبيّن كيفية تقديم الأضحيات للآلهة وفنون قراءة المستقبل. أمر الملك بجمع هذه الألواح ووضعها في رفوف مرتفعة بحيث تكون في مأمن من مياه فيضان دجلة والفرات.

تعتبر تلك المبادرة أول عملية لتشكيل مكتبة في التاريخ. ولا يزال بعض هذه الألواح محفوظاً حتى الآن في المتحف البريطاني في لندن.

لم تبدأ المكتبات باتخاذ شكلها التقليدي المعروف اليوم إلّا بعد أن اكتشف غوتنبرغ الطباعة مما أدى إلى إنتاج الكتاب بكميات كبيرة. تكونت المكتبات الأولى، مثل "مكتبة نينوى" من كتب الدين والتنجيم، ثم من كتب الطب والرياضة والأدب وقصص الفروسية. وفي عام 1290 كانت مكتبة باريس مثلاً تضم حوالي ألف كتاب فقط تدور حول الدين والأدب، وكانت هذه الكتب مجمّعة فوق بعضها دون تبويب أو ترتيب. ولكن قبل ذلك بأكثر من مائة عام كانت مكتبة الزهراء عاصمة الخلافة في الأندلس تضم أكثر من 400 ألف كتاب مبوّبةً وفقاً للموضوعات العلمية، والطبية، والفلكية، والتاريخية، والفكرية، والفقهية الإسلامية.

تُرجم الكثير من هذه الكتب إلى اللغات الأوروبية وشكّلت فيما بعد أساس نهضتها الحديثة. ونجد

قيم الشباب

برنامج #قيم_الشباب

تقدمه جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية
بالتعاون مع قناة بينونة

يستعرض البرنامج قيم أصيلة تحاكي ثقافة المجتمع
وتقاليده، تعيش مع الشباب في حياتهم اليومية،
نراها في التزامهم وتعاملهم بها.

حوار الشباب.. حول تعزيز القيم النبيلة في مجتمعنا:

- البيئة والاستدامة
- الصحة والرياضة أسلوب حياة
- الصداقة
- الاعتدال في الإنفاق
- الإنتاجية والمبادرة
- المواطنة الصالحة

تجدون حلقات البرنامج على قناتنا يوتيوب

mbzuh MBZ university for humanities mbzuh.ac.ae

اليوم مخطوطات عربية محفوظة في العديد من المكتبات الأوروبية، ففي مكتبة الفاتيكان مثلاً يوجد أكثر من عشرة آلاف مخطوط عربي قديم، لعلّ أقدمها على الإطلاق مخطوط مأخوذ من دير القديسة كاترين في سيناء. وقد نقلها إلى الفاتيكان راهب لبناني يدعى أندراوس إسكندر كان يعمل موظفاً في المكتبة في القرن السابع عشر. ويتناول المخطوط -الذي يُعتقد أنه أقدم نص باللغة العربية عن الإنجيل- عظة رهبانية بموضوع "عرس الملكوت". وهو نص صوفي مسيحي يصوّر زهد الراهب وتخلّيه عن متاع الدنيا تقرّباً إلى الله.

وفي المكتبة الفاتيكانية كذلك مجموعة نادرة قديمة من مخطوطات القرآن الكريم ويبلغ عدد المخطوطات في هذه المكتبة ٨٥٠ ألف مخطوط بعدة لغات، إضافة إلى أكثر من مليون كتاب مطبوع ، ومائة ألف وثيقة تاريخية ونقوش نادرة كان يستعملها البابوات وملوك أوروبا وأباطرتها لتصديق وثائقهم الرسمية.

كما أن هذه المكتبة الفاتيكانية تحتوي على مخطوطات على ورق البردى كانت في الأساس تعلو رفوف مكتبة الإسكندرية الشهيرة.

ولا يزال العمل مستمراً حتى اليوم بحثاً عن المخطوطات العربية لاقتنائها. ففي مكتبة جامعة "سلي أوك" في برمنغهام في بريطانيا مجموعة كبيرة من هذه المخطوطات. وكان صاحب شركة شوكولا كادبوري خصّص مبالغ كبيرة لشرائها. وكانت الجامعة (بتمويل من السيد كادبوري) انتدبت شخصية أكاديمية سريانية من أصل عراقي للقيام بهذه العملية التجميعية لكتب التراث.

وتروي المؤلفة كيف تعامل الناس مع الإصدارات الأولى من الكتب، فتصف الكتابات الأولى بغابة كثيفة وعرة يصعب اختراقها. إلى أن تبدّلت وتطوّرت مع الوقت. وكانت القراءة تجري بصوت مرتفع حتى يسمع الآخرون. وتنقل عن القديس أغسطين استغرابه الشديد عندما التقى بشخص يقرأ بصوت منخفض!!

تعتبر الكاتبة أنّ أهمّ كُتّاب العصر الأول كان "هوميروس" (اليوناني ؟) رغم إنّ حقيقة أصله غير ثابتة أوغير مؤكدة. وأنّ أشهر الكتابات كانت قصيدته -الإلياذة- والتي تُرجمت إلى معظم لغات العالم بما فيها اللغة العربية. وتقول إن الإمبراطور اليوناني الإسكندر المقدوني كان يصطحبها في غزواته وحروبه. وكان يضعها تحت وسادته عندما كان يخلد إلى النوم. وتقول الكاتبة أيضاً إن حاكم مصر بطليموس كان يرسل عمّاله إلى شتى أنحاء العالم القديم بحثاً عن الكتب من أجل تزويد مكتبة الإسكندرية بها، والتي كانت مفتوحة للجميع، وبلغات الجميع.

وتقول المؤلفة أيضاً إن قصة حب كليوبترا والإمبراطور مارك أنطوني تُوّجت بمائتي ألف مخطوط قدّمها أنطوني لمكتبة الإسكندرية؛ ولذلك ارتفع الطلب على ورق البردى الذي كانت تُخطّ الكتب عليه، وارتفعت أسعاره ارتفاعاً كبيراً.

ومن خلال "أطلس المؤلفين" الذي وضعه في القرن الثالث قبل الميلاد، أبو المكتبات العامة "كليماخوس"، يمكن تصوّر حجم الخسارة التي مني بها إنسان ذلك الوقت عندما احترقت مكتبة الإسكندرية ودمّرت على آخرها بعد حوالى 400 عام.

تقول المؤلفة إن كليماخوس وضع "أطلس المؤلفين" وأعمالهم، وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد. ويشير هذا الأطلس إلى وجود 73 رواية للكاتب اليوناني "أخيلوس"، ولكن لم يبقَ سالماً منها سوى سبع روايات فقط.

لم يستسلم المصريون إلى مصير مكتبة الإسكندرية الحزين، فقد عملوا جاهدين من أجل إنقاذها من الحريق، وكذلك من أجل استخراج ما تطاير من كتبها وغرق في مياه البحر المتوسط. وقد أُستعيد بعضها بالفعل. ولكن الكتب التي أُستعيدت كانت ممزقةً ومحترقةً وفي حالةٍ يُرثى لها.

وتصف المؤلفة إيرين فاليجو الكتابات القديمة بأنها كانت صعبة القراءة، إذ لم تكن هناك فواصل ونقط وقواعد. ولم تكن هناك أساساً حاجة لذلك؛ لأن القراءة في العالم القديم كانت تتم بصوت مرتفع، وكانت حركات الوجه والعينين كافية للتكامل مع إيصال المعاني.

كانت كتابة المخطوطات عملاً شاقاً. وكان يقوم بها العبيد والأسرى بطلب من أسيادهم. إلا أنه في الحسابات الأخيرة، كان هؤلاء العبيد يتعلّمون ويتثقفون من خلال نقل الكتب، حيث إن كثيراً منهم أصبح أوسع ثقافة من أسياده. وبذلك أصبح العبيد يشرفون على إدارة المكتبات العامة وينظمون المكتبات الخاصة.

ولا ينطبق هذا الأمر على الكتاب في الحضارة الإسلامية فقد كان الورّاقون وصناعة الوراقة من الحرف المتعددة. وصار وراقون كثيرون مثل ابن النديم وياقوت من كبار العلماء. وتشرّف بعض الأمراء والعلماء بنسخ القرآن الكريم وإهدائه.

وتُجري المؤلفة مقارنة بين العبيد في العهد الروماني والعبيد في العهد الأميركي الأول، حيث كانوا يُمنعون من قراءة الكتب. فقد كان العبد الأسود في الولايات المتحدة الذي يبدي رغبة في تعلّم اللغة وفي القراءة، يُعاقب بالجلد والحرمان من الطعام. ولذلك لم يكن للعبيد (في الولايات الجنوبية خاصة) أي دور في الثقافة والكتابة، فسادت فيهم الأميّة وعمّ الجهل. وهما عاملان أساسيان لاستمرار حالة الاستعباد وتطويل أمدها. وقد استمرت حالة الأميّة سائدة بينهم في الولايات الأميركية الجنوبية حتى اضطرّت الحكومة في الثلاثينات من القرن الماضي إلى إرسال أساتذة متطوّعين لتعليمهم وتوزيع الكتب مجاناً عليهم لمكافحة الأميّة.

أمّا الكتاب فلم يبدأ بالتكوّن على الصورة التي نعرفها اليوم إلا في القرن الأول قبل الميلاد حيث أخذت الصفحات شكلها المعروف. وأما شكل الكتاب ذاته فقد تبلور في القرن الرابع بعد الميلاد. حيث كانت الكلمات متداخلة، بمعنى أنه لم تكن هناك فراغات بين كلمة وأخرى أو حتى بين سطر وآخر. ثم تغيّر ذلك أيضاً في القرن السابع بعد الميلاد. بُعيْد ذلك تسارعت التطورات، فبدأ التطور الأول بوضع لائحة بالموضوعات، وحدث ذلك في القرن الثالث عشر. أمّا قبل ذلك فكانت الكتب مجرد مخطوطات يدوية؛ ولذلك كانت محدودة الأعداد جداً، ومكلفة جداً، وكان تداولها محصوراً جداً أيضاً. ولكن اختراع غوتنبرغ الألماني للطباعة، قلبَ هذه الأوضاع رأساً على عقب، فلم يعد الكتاب ملك الخاصة فقط، بل أصبح في متناول العامة أيضاً.

حدث ذلك مع بدايات حركة الاعتراض الديني (البروتستانتية) فساعدت الطباعة على نشر أفكار الحركة بين الناس وتسهيل تداولها، مما ساعد على سرعة تحوّلها من مجرد حركة اعتراضية مغلقة إلى حركة تغيير مفتوحة وواسعة الانتشار، فقامت الكنيسة الإنجيلية -التي أصبحت اليوم كنائس كثيرة-. وفي عام 1470 بدأ لأول مرة ترقيم صفحات الكتاب، وتحتفظ مكتبة بولدوين الشهيرة بنسخة من أول كتاب جرى ترقيم صفحاته.

وهكذا أصبحت جمل الكتاب منفصلة عن بعضها وليست متداخلة، وأصبحت صفحات الكتاب مرقمة ولم تعد متراكمة، وأصبح الكتاب ذاته مطبوعاً زهيد الثمن نسبياً وليس مخطوطاً يعجز الفقراء وحتى متوسطو الحال عن اقتنائه، أو الوصول إليه.

وفي إطار حركة التطور استحدثت فكرة محتويات الكتاب، وهدفها تعريف القارئ على الموضوعات التي يتناولها الكتاب، مثل لائحة الطعام في المطاعم، تعرّفك على ما يعدّه المطبخ، وتترك لك اختيار ما تريد أن تأكل/ أو أن تقرأ. غير أنه من مساوئ ذلك أن بعض القرّاء أصبحوا يكتفون بقراءة هذه المحتويات، ويعتبرون العناوين في ذاتها مفاتيح المعرفة. ولو بمجرد أن تعرف العنوان فأنت الآن تعرف كل شيء آخر.

ليس صحيحاً أن المحتويات هي عصارة المواضيع، وليس صحيحاً أيضاً أنها تحرّر القارئ من أعباء البحث عن المعرفة بين صفحات الكتاب. إنّما الصحيح أنّ المحتويات هي مجرد مدخل إلى قصرٍ عامرٍ بالتحف وبالجماليات المعرفية. والمدخل مهما كان جميلاً وجذاباً، لا يعبر عن المحتويات وتفاصيلها. إن كل هذه التحسينات والترتيبات عُرفت في الحضارة العربية والإسلامية منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. حيث أنتجت الحضارة الإسلامية خمسة عشر مليون كتاب، بقي منها حتى اليوم ثلاثة ملايين في مكتبات العالم، لكن المؤلفة لاتعرض لشيء من ذلك!

حتى الأمس القريب كان البحث عن المعرفة مكلفاً مادياً، وكان يتطلب وقتاً وجهداً. تغيّر ذلك مع الوسائل الإلكترونية الحديثة، فالحصول على المعرفة أصبح أسهل وأسرع وأقل كلفة وأكثر دقة، ويكفي الآن الضغط على زرّ صغير حتى تقفز المعلومات على شاشة الحاسوب حول أي موضوع وحول أي قضية، في أيّ وقت من الليل أو النهار (غوغل - ويكيبيديا نموذجاً).

من هنا تبدو مسيرة الكتاب مع الإنسان وكأنها دخلت مع الاكتشافات الإلكترونية الحديثة مرحلة جديدة، وهذه المرحلة لا تزال في منطلقاتها التغييرية الجديدة. فالعلماء يتحدثون الآن عن إمكانية زرع رقاقة "Chips" صغيرة في مخ الإنسان قد تغنيه في المستقبل القريب عن كتب الدنيا كلها، بل ربما تغنيه حتى عن الدراسة، أو عن مشقّة التفكير؟! وتدخله إلى عالم (بل عوالم) المعارف العلمية المعقدة والوثائق التاريخية الشائكة دون جهد أو عناء.

في تاريخ المعارف الإنسانية أنه في كل مرة كان عقل الإنسان ينفتح على أمر جديد، يتعرّض المكتشف للطعن والتشكيك وحتى للعقاب (قصة غاليليو في العصر الوسيط، وآينشتاين في العصر الحديث)، وكان العقاب أو التهديد به يعطّل أو يؤخر محاولات اكتشاف المجهول لأنه كان ينقض الوقائع المتعارف عليها، والتي استقرت عليها المجتمعات.

وحتى المرأة كانت مقصيّة عن عالم الكتب والأدب والشعر، وتنقل المؤلفة إيرين فاليجو عن رواية "هومر في الأوديسة" قول كليماخوس لأمه: "إن الكلام هو للرجال فقط ". غير أنّ المؤلفة التي تدين بثقافتها إلى والدتها، فتقدم مقاربة معاكسة وتنقل عن الأدب اليوناني قولاً مأثوراً لسيدة تقول فيه: "بعض الناس يقولون إنه لا يوجد على سطح هذه الأرض ما هو أجمل من جيش من الأحصنة، أو جيش من الرجال، ولكنني أقول إن أجمل شيء على سطح الأرض هو رؤية الحبيب وهو عائداً مظفراً بسلام".

فأين كان الإنسان قبل اختراع الكتابة؟ وأين كان قبل صناعة الطباعة؟ وإلى أين يتوجه الإنسان اليوم بعد سلسلة الاكتشافات الإلكترونية الحديثة وتسارع تطورها؟

في الفصل الأخير من الكتاب تروي المؤلفة الأسبانية بأسلوب رشيق قصة عودة الشاعر مارشال إلى أسبانيا بعد مشاركته في الحرب في روما، وتبدو روايتها وكأنها عاشت معه قصة حبّ جارف.

منذ أعوام قليلة زرت المكتبة الوطنية في فيينا التي أنشأها إمبراطور النمسا في عام 1726. ووجدت عبارة تعلو مدخلها تقول: "تفضل.. لست في حاجة إلى أن تمدّ يدك إلى جيبك وسوف تخرج منها غنياً".

إن المعرفة هي الثروة، والعلم هو الغنى.

الزوجات والعمل المنزلي
الفقه الإسلاميّ والأخلاق قبل الحداثة

WIVES AND WORK
ISLAMIC LAW AND ETHICS BEFORE MODERNITY

Marion Holmes Katz

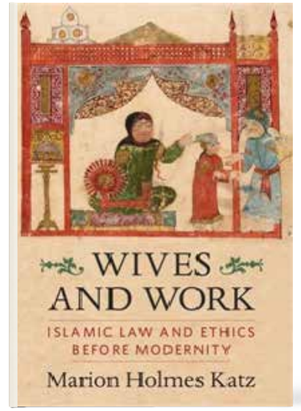

قراءة محمد عبدالله السيد
عضو الهيئة التدريسية في
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يحتوي الكتاب على أربعة فصول، ويقع في (203) صفحات.

يسرد الكتاب سلسلةً من المراجعات للنقاش الفقهي الإسلاميّ حولَ عمل الزوجات في الخدمة المنزليَّة،

تحرِّر كتب الفقه الإسلامي في القديم الزوجات من أيّ التزام بالقيام بالأعمال المنزليَّة لأزواجهنَّ، وتظهر المصادر التي تمّ فحصها في هذا الكتاب عمقَ وجديَّة هذا النقاش، وقد أثار هذا الموضوع الاهتمام لسببين:

أوَّلهما: أنَّ ملكية عمل الزوجة طَرَحَ أسئلةً أساسيَّةً حول المطالبات والالتزامات المتبادلة بين الزوجين بموجب عقد الزواج.

وثانيهما: أنَّ إنكار واجب الزوجة القيام بالأعمال المنزليّة يتعارض مع ما فهمه معظم العلماء القدامى على أنّه صواب.

أفضت جهود العلماء لحلّ هذا التوتر عبرَ مجموعةٍ من الحلول، تبدأ من التمييز بين الادِّعاءات القانونيَّة، والمُثُل الأخلاقيَّة إلى صياغة توليفةٍ متكاملةٍ من الاثنين. ونتيجةً لذلك: فإنَّ قضية عمل الزوجات في الخدمة المنزليَّة توفِّر فهماً فريداً للأسئلة حول العلاقة بين الشريعة الإسلاميَّة والأخلاق التي طالما ناقشها العلماء في الأكاديميات الغربية.

يقدِّمُ الكتابُ أيضاً: قراءاتٍ ورؤىً جديدةً في آراء العلماء المسلمين التقليديين حول الأسرة والعمل، وفي المنطق المتطوِّر، وديناميكيات القانون الإسلامي الفقهيّ، فإنَّ هذه الدراسة مبنيَّةٌ على مركزيَّة فكرة العمل، وبشكلٍ متساوٍ في كلِّ نواحي حياة النَّاس: من الجنوسة (النَّوع الاجتماعي) إلى الأسرة، إلى المكانة، بالإضافة للطرق التي فكَّر بها علماء المسلمين.

عنونت الكاتبة الفصل الأول من كتابها بـ: (العمالة المنزليّة في أدب الزهد والنصوص المبكّرة في المذهب المالكي) بعد مقدِّمةٍ موجزة لموضوع العمالة المنزليَّة في هذه الفترة، يبحث الفصل في دور الخدمة المنزليَّة، والمهامِّ الدونيَّة التي تشتمل عليها النصوص المبكّرة حول الزهد: حيث ذكرت الكاتبة الرسالة التي نقلها «جامع معمر بن راشد» عن الصحابي أبي الدرداء، والذي قدّم فيها سلسلة من التحذيرات الأخلاقيَّة والنصائح لأبي ذرٍّ الغفاري، وتشمل تلك الرسالة -على سبيل المثال لا الحصر- على قوله: (ويا أخي: إنِّي حُدِّثْتُ أنَّك اشتريت خادماً، وإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يُخْدَمْ، فإذا خُدِمَ.. وجب عليه الحساب»، وإنَّ أمَّ الدرداء سألتني خادماً، وأنا يومئذٍ موسر، فكرهت ذلك لها؛ خشيت من الحساب). ترى المؤلِّفة في تلك النصيحة المنسوبة إلى إنسان مسلم جليل من الحقبة الإسلاميَّة المبكِّرة.. الإدراكَ بأنَّ كونك مخدوماً من قِبَلِ أحدِ إخوانِكَ البشرِ أمرٌ يتعارض مع أنقى أشكال عبادة الإنسان لله عزَّ وجلَّ.

قارنت الكاتبة في هذا الفصل موضوعَ العمالة المنزليَّة بين المذاهب الفقهيَّة المبكِّرة، مع التَّركيز بشكلٍ خاصٍّ على «المدونة الكبرى» للإمام مالك بن أنس حسب رواية سحنون، وخلصت: بأنَّ هنالك آراءً متباينةً بشدةٍ لمسألة: مَنِ الذي يجب أن يؤدِّيَ الأعمال اليوميَّة المنزلية البسيطة؟ ولماذا؟ وأنَّ عدم التطابق يعكس . بحسب الكاتبة ـ كلاًّ من التكوين الاجتماعي المتطوِّر للمجتمع الإسلامي المبكِّر، وتنوُّع الأطرِ التي تمَّ وضعها للتأثير على مسائل السلوك الشخصي اليومي.

اعتمد المفكرون المسلمون بحلول القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، على ذخيرةٍ من الأفكار حول التكافؤ الأخلاقي للعمل المتواضع والالتزامات المتبادلة بين الزوجين، والتي يمكن أن يكون لها آثارٌ متباينةٌ بشكلٍ حادٍّ على سلوك الأزواج والزوجات.

درس الجزء المتبقي من الفصل كيف نجح ثلاثة علماء مؤثِّرين من المذهب المالكي المبكِّر في التحكم في هذا المشهد الأخلاقي القانوني المعقَّد، بدءًا من الفصل الموضوعي للأبعاد الأخلاقيَّة والقانونية لمسألة عمل الزوجات إلى أشكالٍ مختلفةٍ من التركيبات، ووفقًا لمبادئ أغلبيَّة المذاهب الفقهية في منتصف فترة التكوين الإسلاميَّةِ.. يُطلب من الزوج المسلم توفير العمالة المنزليَّة لزوجته إذا كان قادرًا ماليًّا؛ فعلى سبيل المثال: استشهدت الكاتبة بمعمر بن راشد المعاصر لأبي حنيفة، والذي اعتبر بأنَّ الزوج ملزمٌ بالإعالة الماليَّة لخادم زوجته المستعبد، وبالتالي: فإنَّه من غير المتوقع العثورُ على شخصيَّة نموذجيَّة من الحقبة الإسلاميَّة المبكِّرة تتمثَّل في حرمان زوجته من مثل هذه المساعدة، على الرغم من استنادِهِ على أسباب أخلاقيَّة تقيَّة، وبدلاً من أن تكون حالة شاذَّة منعزلة، فإنَّ هذه الحكاية تعكس المعانيَ المعقّدةَ للعمل البسيط في مجتمعٍ إسلاميٍّ مبكِّر؛ حيث كان الأتقياء يتعاملون مع الآثار الأخلاقيَّة والدينيَّة للازدهار والسلطة.

في حين أنّنا لا نستطيع التأكد من تاريخيَّة هذه الحكاية، إلاَّ أن هذا الفصل سيضع عمل الزوجة المنزلي في المشهد الأكبر للخطابات الأخلاقيَّة في المجتمع الإسلامي في الفترة التكوينيَّة من القرن الثاني إلى القرن الثالث الهجري تحديداً.

بعد الحديث عن المذهب المالكي في الفصل الأول تنتقل الكاتبة بنقاشها إلى النصف الأوَّل من القرن الهجري الخامس / الحادي عشر الميلادي، وتركِّز على الغرب الإسلامي من شمال إفريقيا والأندلس إلى عاصمة الخلافة العباسية آنذاك بغداد؛ حيث تشكَّلت تلك البيئة الفكرية بعمق من خلال الخطابات الأخلاقيَّة التي تمَّ تبنِّيها من التقاليد اليونانية والفارسية وغيرها من التقاليد التي تمَّت ترجمتها ودمجها في تراكيب جديدة مع الفكر الإسلامي.

ركَّزت الكاتبة على التقاليد اليونانيَّة بشكلٍ خاصٍّ، والتي لعبت عناصرها دورًا بارزًا بشكل خاص في الهياكل الإسلاميَّة اللاحقة للزواج والأسرة.

يقدِّم هذا الفصل بداية الفلسفة العملية المشتقة من اليونانية للزواج والأسرة، وإدماجها في أعمال المفكرين الإسلاميين حتَّى القرن الحادي عشر، ثمَّ يستعرض الأفكارَ ذات الصلة لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (المتوفى 450 / 1058)، وهو فقيه ينتمي للمذهب الشافعي، أنتج أيضًا عملاً أخلاقيًا يتضمَّن عناصر من الفكر الفلسفيّ اليونانيّ حول الزواج.

بدايةً من مراجعة تحليل الماوردي في دليله الفقهي الطويل «الحاوي الكبير» لعقد الزواج وحالة عمل الزوجات في الخدمة المنزليّة؛ يؤكِّد هذا الفصل أنَّ نموذجه الشرعيَّ الصَّارمَ في الزواج على التبادل التعاقدي للدعم المادي الذي يوفره الزوج مقابل التوافر الجنسي للزوجة، وهو ذات النموذج في «مدونة» المذهب المالكي. وهكذا ينكر الماوردي بشدَّة أنَّ الزوجة عليها أيُّ التزامٍ بتوفير الأعمال المنزليَّة، وتؤكد في الوقت نفسه الافتراض بأنَّها تتحكَّم في وقتها وعملها، وبالتالي: يحق لها نظرياً المطالبة بأجرٍ من زوجها.

بالانتقال إلى العمل الأخلاقي للماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» نجد أنَّه يستنكر التمتُّع الجنسي كهدفٍ من أهداف الزواج، ويقبل أن يتزوَّج الرجل من أجل الخدمة المنزليَّة التي توفِّرها الزوجة. على الرغم من التضارب الواضح بين هذين الموقفين تشير بعض مقاطع كتاب «الحاوي» إلى أنَّه حتَّى عند الكتابة بطريقة قانونيَّة كان الماوردي يدرك القيم الأخلاقية الأوسع التي تختلف أحيانًا عن أحكام القانون الواجبة التطبيق. ففي النهاية: بدلاً من التناقض مع بعضها البعض، تكمل أعمال الماوردي القانونية والتوجيه الأخلاقي بعضها البعض من خلال الإجابة على أسئلة مختلفة، والاستجابة للاحتياجات المختلفة.

أخيرًا: يضع الفصل باختصار مناقشة الماوردي لعمل الزوجات في الخدمة المنزليَّة، (ونهجه في العلاقة بين القانون والأخلاق) في السياق الأوسع للمذهب الشافعي في هذا المجال.

وفي الفصل الثالث من الكتاب، المعنون بـ: (الالتزام القانوني والأخلاقي في كتاب «المبسوط» للإمام السرخسي): تنتقل الكاتبة بدراستها إلى خراسان الكبرى (المنطقة التي تضمُّ شمال شرق إيران وبلاد ما وراء النهر) أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. في ذلك المكان والزمان كان واجب خدمة الأسياد (على مستوى العائلة، أو في علاقات الولاء، أو التلمذة الشبيهة بالعائلة) محملاً بأفكار حول الواجبات الأخلاقيَّة المتأصِّلة في العلاقات الثنائية للتبعيَّة.

يستكشف القسم الأوَّل من هذا الفصل تلك الخدمة كمفهومٍ متعدد الجوانب، وكيف لعب في تلك الفترة دورًا مركزيًا في صياغة مجموعةٍ واسعةٍ من العلاقات الثنائيّة الهرميَّة، من التلمذة إلى الصوفية.

ثمَّ ينتقل الفصل إلى موضوع العمالة المنزليَّة في الدليل الشرعي، «المبسوط»، للفقيه الحنفي شمس الأئمة السرخسي (المتوفى 483 هـ / 1090 م).

تبيِّن الكاتبة إلى أنَّ التحليل القانوني لالتزامات العمل في الزواج عند الماوردي كان مختلفًا تمامًا عن تحليله الأخلاقي للموضوع نفسه، بينما كانت كتابات السرخسي عن توفير العمل داخل الأسرة مشبعةً تمامًا بالدَّلالات الأخلاقيَّة، وبالتالي: ليس من المستغرب أنَّ تحليله القانونيَّ لالتزام الزوجات بالقيام بالأعمال المنزليَّة قد تضمَّن الاعتبارات الأخلاقيَّة بطرقٍ جديدةٍ

ومركزيَّةٍ. ومع ذلك وبدلاً من دمج تحليلاته القانونيّة والأخلاقيّة للعلاقة الزوجيّة؛ فإنَّ هذا العمل الخاص بفقه السرخسي يوضح مجالًا للالتزام الأخلاقيّ والدينيّ الذي يختلف عن أحكام عقد الزواج القابلة للتنفيذ قضائيًا.

تستند رؤية السرخسي الأخلاقيَّة للزواج جزئيًا إلى علم الحديث، وفهمه الواسع للأخلاق الإسلاميَّة، ومع ذلك فهو يدمج أيضًا عناصر من الأخلاقيات العمليَّة اليونانيَّة للأسرة على الرغم من عدم تحديدها علانية على هذا النحو.

على وجه الخصوص في بعض النقاط: يعرض تحليل السرخسي للزواج بوضوح المصطلحاتِ والمفاهيمَ المرتبطة بالفيلسوف اليوناني بريسون.

يضع القسم الأخير من الفصل السرخسيَّ ضمن السياق الأوسع لمذهب الحنفيَّة المتطوِّر في موضوع عائلات الزوجات.

تتناول الكاتبة في الفصل الرابع والأخير من كتابها، والمعنون: (تصور جديد للزواج: أعمال ابن قدامة) كيف أنتج العلماء العاملون في مدارس الفقه المختلفة أطرًا مفاهيميَّة مطوَّرة بالكامل لقانون الزواج بحلول نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، مع الاعتراف بطرق مختلفة بأنَّ معظم الزوجات كان يتوقع منهنَّ عمليًا توفيرُ عمالة منزليَّة، إلَّا أنَّ هذه المذاهب الناضجة حافظت على الإجماع الواسع في وقت مبكرٍ على أنَّه ليس لديهنَّ أيُّ التزامٍ للقيام بذلك على المستوى القانوني البحت.

في المقابل في المدرسة الحنبليّة بدمشق في القرن الرابع عشر الميلادي: تعرَّضت العقيدة القانونيَّة القائمة حول عمل الزوجات في الخدمة المنزليّة لتحدٍّ كبيرٍ.

كخطٍّ أساس للتطورات التي حدثت في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، بدأت الكاتبة بتحليل أعمال الفقه الحنبليَّة من خلال كتاب «المغني» لموفق الدين ابن قدامة (المتوفى 620/ 1223) الذي يعتبر الأكثر موثوقيَّة في بداية هذه الفترة حتى ذلك الوقت، كانت المدرسة الحنبليَّة قد أحلت عقد حرية واسعة النطاق بين الزوجين، وفي أوائل القرن الرابع عشر الميلادي اقتُرح نهجٌ جديدٌ يدمج المطالب الأخلاقيَّة والعمل بشكل كامل والقانون الإسلامي والأخلاق؛ مثل: التزام الزوجة بأداء الأعمال المنزليّة في قانون الزواج.

يبدو أنَّ إعادة التصور الجذري للإطار القانوني للزواج تعكس كلاً من مُثُل الجنوسة (النوع الاجتماعي) المميزة لذلك الزمان والمكان وجهود العالمين لمراجعة العلاقة بين الشريعة الإسلاميّة والأخلاق بشكل جذري.

وفي خاتمة كتابها: تسرد الكاتبة بشكلٍ مقتضب مقاربات الفقهاء المسلمين لقضية عمل الزوجات في الخدمة المنزليّة بشروطهم الخاصة، وضمن سياقاتهم التاريخية الخاصَّة، كما توضِّح بأنَّ الفجوة المستمرَّة بين عمل الزوجات في الخدمة المنزليَّة والأعراف الاجتماعيّة والدينيَّة السائدة ما زالت قائمةً؛ ممَّا أدَّى إلى ظهور تفكيرٍ متقطع، ولكنَّه مستمرٌّ حول العلاقة بين الشريعة الإسلاميَّة والأخلاق.

وتحدَّثت عن التحولات العقائدية المهمَّة التي حدثت بدايةً من أواخر القرن التاسع عشرالميلادي، موضحةً بأنَّ أيديولوجية هذه الفترة عن الحياة المنزليَّة أظهرت استمراريَّة كبيرةً وانحرافاتٍ حقيقيةً عن أنماط القرون السابقة.

ثمَّ تلقي الكاتبة نظرةً سريعةً على التطورات المعاصرة التي اعتمد فيها المسلمون المعاصرون بشكل انتقائي وإبداعي على المراجع العقائديَّة للعصور السابقة.

أخيرًا: تعيد الكاتبة النظر في السؤال الأكبر المتعلِّق بالعلاقة بين الشريعة الإسلاميّة والأخلاق كما تمَّ تصويرها في الأدبيات الثانويّة الحالية، ممَّا يشير إلى أنَّه بدلاً من الدخول في تشعُّب غير مسبوق للقانون والأخلاق شهدت الفترة الحديثة إعادة تشكيل المشهد الإسلامي المتشعب.

وفي الختام :

يناقش هذا الكتاب أحد الأسئلة الجدليَّة حول منزلة الزوجات والعمل المنزلي، والمردود المالي لهذا العمل في الثقافة الإسلاميّة؛ حيث يظن الكثير من المفكرين خطأً بأنَّ الإسلام حرَّر المرأة المسلمة من القيام بالأعمال المنزليَّة.

لقد اتبعت الكاتبة أسلوب الاستكشاف المنهجيّ والمستدام لقضيَّة عمل المرأة في المنزل، وحلَّلت بعمقٍ إجاباتِ مفكري المسلمين وفقهائهم في العصور الوسطى، وأوضحت بشكلٍ مميَّز كيف ميَّزوا بين الواجبات الأخلاقيَّة والالتزامات القانونيَّة، وأعادوا في النهاية تصوُّر معنى الزواج وقيمةِ الخدمةِ بشكلٍ معاصرٍ.

وغطَّت الكاتبة في كتابها نظرةً كلِّ مذهبٍ من المذاهب الرئيسة في الإسلام، ومفاهيمَهم القانونيَّةَ لعقد الزواج، والآثارَ المترتِّبةَ على ذلك، لكنَّها لم تتطرَّق إلى الفتراتِ اللاحقة بعد القرن الرابع عشر الميلادي حتَّى عصرنا الرَّاهن.

وحلَّلت الكاتبة أيضاً التأثيراتِ المحيطةَ على هذه الخطابات، وأبرزها: تأثير الفلسفة اليونانية على الأفكار الإسلاميّة للأخلاق الزوجية، لكنَّ فقرَ المراجع قد يؤثِّرُ على مصداقية هذه التأثيرات، والنقل من تلك المصادر. وهذا لا يقلل أبداً من القيمة العلمية والجهد الأكاديمي الواضح للكاتبة .

المسلمون ونشوء أوروبا الحديثة

Muslims and the Making of Modern Europe

Emily Greble

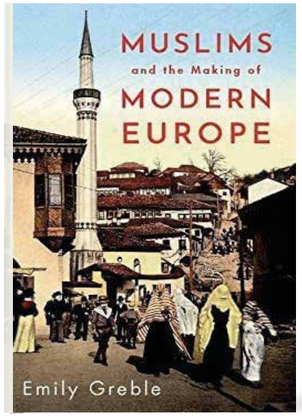

قراءة محمود حدّاد
أستاذ في التاريخ الحديث

هذا كتاب مميز في بابه ورفيع في تحليله حيث يغير كيفية فهمنا لمنطقة جنوب غرب أوروبا الحديثة والأهمية العالمية للوجود الإسلامي في تلك المنطقة. يغطي الكتاب الفترة ما بين ١٨٧٨ ونهاية أربعينيات القرن العشرين في منطقة أوروبية مهمشة من قبل المؤرخين والمختصين في أوروبا الشرقية والدراسات السلوفينية والبلقانية.

لقد كان المسلمون الأوروبيون في الدولة العثمانية يعتمدون على ما قد يكون امتياز قُربهم من السلطة والقوة العثمانية. لكن عندما حلت إمبراطورية النمسا - هنغاريا والقوميات اليونانية والصربية والبلغارية والجبل الأسود محل المؤسسات السياسية العثمانية، جرى اعتبار المسلمين القاطنين في تلك المناطق أقليات وأغراب على أرضهم متهمين بعدم الولاء لأوطانهم، كما يحتفظون بولائهم لإسطنبول و للقاهرة أو القدس أو مكة و بخاصة بعد إلغاء تركيا للخلافة الإسلامية في 1924م. ولعل ما يوضح هذه الفكرة ما قاله فكتور أوربان، رئيس وزراء هنغاريا، حول توسيع الاتحاد الأوروبي من خلال جعل البوسنة عضواً فيه: "تكمن المشكلة في كيفية إدماج بلد يسكنه مليونا مسلم". رد الرئيس البوسني، شفيق ظافروفيق على الاعتراض الهنغاري: "ليس من مشكلة أمام الاتحاد الأوروبي بإدماج مليوني مسلم لأننا أوروبيون أصليون سكنوا دائماً في هذه البقاع. نحن أوروبيون". مع ذلك، يستمر السياسيون اليمينيون المتطرفون في هنغاريا وبولندا وفرنسا وغيرها في رفض هذه الحقيقة التاريخية ويكررون الأسطورة القديمة بأنه لا يمكن الجمع بين الإسلام وأوروبا!

أما في هذا الكتاب الشيق حول إسلام المجتمعات البلقانية الذي يعالج تأخر وضعهم نتيجة الفترة العثمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر ورفع الستارة السوفياتية الحديدية في نهاية القرن العشرين، في هذا الكتاب تحاول مؤلفته المؤرخة إميلي غربلGreble Emily أستاذة تاريخ روسيا وشرق أوروبا في جامعة فاندربلت في الولايات المتحدة الأميركية، تتبع مصائر عدة أجيال من هؤلاء الرجال والنساء والأولاد والتجار والمزارعين ورجال الدين والمدرسين والتلامذة والمؤمنين وغير المؤمنين من شواطىء البحر الأدرياتيكي إلى القرى الجبلية في البلقان. وهي تروي لنا كيف أنَّ المسلمين كانوا جزءًا من التاريخ الأوروبي الحديث منذ البداية.

لقد عاشت مجموعات سكانية مسلمة كبيرة في جنوب شرق أوروبا، لكن بعد هزيمة العثمانيين أمام القوميات البلقانية التي تمت بمساعدة روسيا في 1878 وتوقيع معاهدة برلين التي اعترفت بالخسائر العثمانية في نفس السنة، وجد ملايين المسلمين أنفسهم يعيشون في دول جديدة مستقلة أو في الإمبراطورية النمساوية - الهنغارية المسيحية. هكذا، وعلى امتداد أوروبا القومية والإمبراطورية جرى وضع المسلمين ضمن فئة "الذين لا يمكن إدماجهم أبداً" أو ما هو "غير مواطن" و"غير أوروبي". علينا أن نتذكر أن التخلي عن الإسلام كان شرطاً للحصول على الجنسية في فرنسا وإمبراطوريتها حتى 1946.

تستخدم المؤلفة عدة مصادر تاريخية مثل: أرشيفات عواصم الدول من البوسنة، ومقدونيا، والجبل الأسود، وكرواتيا، وصربيا إلى وثائق المدارس في القرى البعيدة حيث تزيح الغبار عن مفاوضات المسلمين مع سلطات الدول التي يعيشون فيها حول حدود تطبيق الشريعة الإسلامية وطبيعة الحرية الدينية ومعنى حقوق الأقلية. وهي ترينا كيف أن قصة المسلمين الأوروبيين هي قصة أوروبا نفسها. فقد سافر فيها المسلمون عبر الكثير من المعابرالتاريخية من بينها الحرب العالمية الأولى لينتقلوا من النظام الإمبراطوري العثماني إلى تجربة الديمقراطية الليبرالية إلى النظام السلطوي إلى برامج الفاشية والاشتراكية والشيوعية. وفي قيامهم بذلك، فإنهم أسهموا

بكتابة السرديات التي تتحدث عنها أوروبا اليوم. والكتاب يقدم قصة جديدة لتاريخ المواطنة وبناء الدولة وبزوغ حقوق الأقليات وتعريفات العلمانية.

إن النقطة الأساسية التي ينطلق منها الكتاب تخالف الفكرة بأن الدولة اليوغسلافية مثلاً هي التي حددت للمسلمين دورهم في الدولة والمجتمع، بل على العكس كان المسلمون هم الذين صاغوا لأنفسهم دوراً كمواطنين داخل الإطار الأوروبي.

كما ذكرنا في البداية، على الرغم من أنه كان لهم حضور جيد في أوروبا منذ القرن الثامن الميلادي، فإن المسلمين في جنوب غرب أوروبا، ظل يُنظر إليهم من قبل الغرب على أنهم مسلمون فقط وليس مواطنين لهم نفس حقوق وواجبات المواطنين الآخرين في الدول التي يعيشون وينتمون إليها. لهذا تبحث مؤلفة الكتاب في كيفية معاملة الدولة لمسلمي البلقان وبالأخص في يوغسلافيا السابقة من خلال التركيز على ارتباطاتهم بمؤسساتهم وقوانينهم الاجتماع - سياسية وليس من خلال وضع مجتمعهم العلماني. والواقع أن القانون الإسلامي (الشريعة) الذي كان لصيقاً بالمجتمع الإسلامي جعله في علاقة صراع داخلي لتحديد هويته السياسية حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية وتم في النهاية وتحت حكم الرئيس جوزيف بروز تيتو إلغاء تطبيق الشريعة وتحويل الإسلام من قضية حقوقية إلى فكرة ثقافية.

تعود قوة الكتاب إلى كونه قد عالج موضوعه من وجهة نظر مسلمي البلقان أنفسهم وليس من وجهة نظر الدولة أو الأوروبيين الآخرين، وهو المنهج المتبع عادة في مثل هذه الدراسات. لهذا فهو يحفز الأوروبيين للاهتمام بتاريخ مناطقهم وأقاليمهم التي كان لها تأثير على القارة الأوروبية ككل وبطرق متعددة. وقد نجحت إميلي غربل في مسعاها لتوضيح كيف ساهم مسلمو أوروبا في تحديد معنى " النظام السياسي الحديث" الذي وُجد ضمن التاريخ الأوروبي وليس في موازاته أو خارجه أو على هامشه، الأمر الذي كان متبعاً لدى معظم المؤرخين.

تقص علينا المؤلفة كيف أن نحو أكثر من مليون مسلم عثماني أصبحوا مواطنين في الدول الأوروبية منذ 1878م وحتى 1945م، وكيف أنهم لعبوا دوراً محورياً في تطوير العادات الاجتماعية وبناء الأسس السياسية والأخلاقية والقانونية في القارة الأوروبية كلها. لذلك فإن غربل تدعو إلى إعادة دمج المسلمين في قصة وسردية التاريخ الأوروبي والتوقف عن التجاهل المستمر لهم حيث إنّ كتاب "المسلمون ونشوء أوروبا الحديثة" يؤكد أن المسلمين كانوا جزءًا من أوروبا منذ قرون طويلة ويعتبرون القارة وطنهم.

كانت المجتمعات الإسلامية في البلقان داخلة في النسيج الاقتصادي للمنطقة، فإنها كانت أيضاً مكاناً لمناقشة الأسئلة المتعددة حول العلاقة بين الدين والمواطنة وكذلك الهوية والشريعة والتعليم الديني والإسلام السياسي. وبذلك ساهم المسلمون البلقانيون في رسم شكل الطريقة التي عالجت بها المجتمعات الأوروبية قضايا المواطنة وحقوق الأقليات والعلمانية كما ذكرنا سابقاً. هنا يقدم لنا الكتاب أمثلة محددة لكيفية مفاوضة المسلمين للدولة وللمجتمع اللذين حاولا إبعادهم عن المشاركة. فها هوعبد الله، رجل أعمال في بودغورسيا الذي تعرض للسجن لأنه رفض الاختيار بين المعتقل والخدمة في جيش الجبل الأسود الجديد، وزوديذا، المرأة الفلاحة في صربيا، التي أحرقت بيت زوجها في سعيها للطلاق حسب الشريعة الإسلامية، ثم حسن ربوك، السياسي الصربي الذي هاجم "العقلية الأسيوية القرون وسطية" التي يحملها المسلمون المحافظون.

من الضروري أن نذكر أن المؤرخة تظهر لنا أيضاً كيف أن إسلام البلقان متعدد الاتجاهات ولا ينحو منحىً واحداً ،حيث ثارت مناقشات طويلة بين أولئك الذين رغبوا في أن يكون لهم صوت في الدولة الحديثة وأولئك الذين خافوا أن دينهم قد يُدمّر من خلال ذلك، خاصة وأنّ الملايين اضطروا للنزوح وتغيير أماكن وجودهم أثناء الحروب البلقانية والحرب العالمية الأولى ونشوء يوغسلافيا في 1918م. وقد صرح مفتي البوسنة إن المسلمين فوجئوا على غير انتظار بهذه الحقبة الجديدة وكان عليهم أن يدخلوا في عملية تحديث أنفسهم ومؤسساتهم (على الأقل بالنسبة لدور المرأة) وأن يتأقلموا مع الأوضاع الجديدة وإنهم إذا لم يقوموا بذلك فلن يستطيعوا التعامل مع أوروبا.

إلا أن استدامة عداء الدولة والمجتمع للمسلمين جعل اتجاهاً مغايراً يبرز من بين هؤلاء الذين اتجهوا نحو إعادة إحياء الإسلام المحافظ حيث حاول عدد من العلماء إعادة العمل بالعادات القديمة (مثل: لبس الحجاب ومنع الربا أو الفائدة). كما حاولوا إنشاء مدارس ومحاكم إسلامية مستقلة. فكما قالت إحدى المجلات البوسنية: "إن التنوير الروحي وتحسين وضعنا أهم بالنسبة لشعبنا من السياسة الفارغة". ومع ذلك فإن القومية المستبدة لم تكن لتحفل بحقوق الأقليات خاصة في الثلاثينيات كما جرى تزييف نتائج الانتخابات ضد المسلمين الذين استمر تصويرهم على أنهم بعيدون عن المجرى الرئيس للدولة والمجتمع. كما رسمت السلطات اليوغسلافية خططاً لترحيل

المسلمين وإعادة توطينهم في أماكن أخرى متهمةً إياهم بتعليم أولادهم بطريقة "عدائية" للدولة وكانت تردد إنهم لا ينتمون إلى أوروبا، بل إلى الشرق الأوسط أو آسيا.

كان احتلال دول المحور (ألمانيا وايطاليا) ليوغسلافيا في 1941م خلال الحرب العالمية الثانية فرصةً لكسب المزيد من الحكم الذاتي الإسلامي . لهذا تحالف بعض المسلمين مع الكرواتيين والفاشيين الألمان والايطاليين وأنشأت القوات الألمانية فرقة من الكرواتيين المسلمين، لكن الكثير من العلماء والناشطين استنكروا الفظائع الفاشية وفتشوا دون جدوى عن "طريق جديد للعودة إلى الإسلام" كخيار ثالث بين النازية والمنظمات المؤيدة للسوفيات حيث حارب بعض المسلمين إلى جانبهم أيضاً. أما يوغسلافيا تيتو الشيوعية ما بعد الحرب فستتعامل بسلبية مع المجتمعات والمنظمات الإسلامية كما أن مسلمي البوسنة وكوسوفو واجهوا احتمال الإبادة عندما استقلوا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في تسعينيات القرن الماضي إلى أن تدخلت القوات الدولية لإنقاذهم.

وحيث إننا ذكرنا أن إسلام البلقان متعدد الاتجاهات ولا ينحو منحى واحداً (إصلاحيون، تقليديون، إحيائيون، تقدميون، قوميون، فاشيون، اشتراكيون) فهذا يشير إلى أي مدى كانوا جزءًا من أوروبا وجزءًا من تطورها (أو عدم تطورها) السياسي والأيديولوجي والاجتماعي والقانوني. لهذا فإن الإسلام السياسي لا يقتصر على الشرق الأوسط، بل كان قبل سنوات قليلة موجوداً في أوروبا وقد يكون له جذورتعود في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي. ففي يوغسلافيا مثلاً ، كان المسلمون مستائين من أن قوانين الحفاظ على حقوق الأقليات التي تعدهم بأمور كثيرة لا تطبق فعلياً وأدت إلى قهرهم والاستبداد بهم. كما كانوا مستائين بشكل خاص من محاولات التبشير والتنصير التي كانت تليس لبوس العلمانية. وقد وصف بعض المثقفين كيف أنه كان يجري تغيير مقاصد الشريعة الإسلامية وحرفها.

رد المسلمون على ذلك ببناء سلسلة واسعة من الحركات ذات الجذور المحلية وبناء تحالفات مع منظمات دولية متعددة. ونحن نرى ذلك لا في البلقان فقط، بل في كل البلدان الإسلامية التي كانت تحت الاستعمارين الفرنسي والبريطاني. كان الكثير من النخب المسلمة مؤيداً لهذا النوع من التنظيم سواء نخب العلماء الدينية أو النخب العلمانية من المعلمين والمهندسين والأطباء والمحامين.

والواقع أن المساهمة الأبرز في الكتاب من الناحية الفكرية كانت في التشديد على أن العلمانية في أوربا (وربما في غيرها) ليست محايدة دينياً Religious free، بل إنها كانت تنحو إلى قبول افتراضات مسيحية. لقد كانت العلمانية معادية للإسلام أو على الأقل غريبة عن وجهة نظر المسلمين خاصة عندما تكون المسألة متصلة بالتمييز بين العام والخاص. وتقول المؤلفة في مقابلة معها إنها تتفق مع طلال أسد وصبا محمود على أنَّ الافتراض بأن الدولة الأوروبية تقوم بالعلمنة وأنها خالية من الحمولة الدينية ولا علاقة لها بالدين غير صحيح. إن الحديث عن مفهوم "العلمانية" يجب أن يعترف بأن السلطات المسيحية اللاهوتية كانت هي التي تحدد ما هي العلمانية وترسم معناها حسب تقاليدها. وقد جعلت الأيديولوجية السياسية للدولة العلمانية من الضروري الإشراف على الدين. أما ما نراه لدى المسلمين في المناطق العثمانية السابقة فهو أن الدولة غير المسلمة تحاول الإشراف على الإسلام.

لا شك أن إميلي غربل قدمت لنا كتاباً مهماً، إلا أننا كنا نتمنى لو أنها أضافت إلى ما قدمته مقارنة بين المناطق البلقانية التي كانت تسكنها أقليات مسلمة وتلك التي سكنتها أغلبية مسلمة مثل ألبانيا. ففي ألبانيا ذات الأغلبية المسلمة بوضوح والتي حازت على استقلالها من الدولة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى تختلف عن باقي مناطق البلقان بما في ذلك البوسنة والهرسك اللتين تسكنهما أغلبية إسلامية بسيطة.

مركز التميز في اللغة العربية
CENTER OF EXCELLENCE IN ARABIC LANGUAGE
مركز الدراسات الفلسفية
CENTER FOR PHILOSOPHICAL STUDIES
مركز الموطأ
AL MUWATTA CENTER
MOHAMED BIN ZAYED UNIVERSITY FOR HUMANITIES
تملك الجامعة 3 مراكز بحثية مختصة في الدراسات الإسلامية واللغة العربية والفلسفة.
The university has 3 research centers specializing in Islamic studies, Arabic language and philosophy.
mbzuh
MBZ university for humanities
mbzuh.ac.ae

الفلسفة والفقه في العالم الإسلاميّ
Philosophy and Jurisprudence in the Islamic World
Peter Adamson

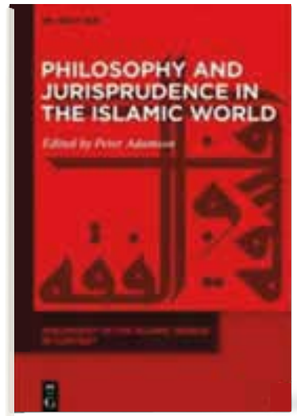

قراءة الدكتور عبد الحميد الراقي
عضو هيئة التدريس
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانيّة

كان البحث في العلاقة بين الفلسفة وبين العلوم الإسلاميّة عامّة مثارَ اهتمام الباحثين والعلماء منذ القديم، وللمتقدّمين من علماء المسلمين في هذا المنحى تآليف مختلفة الصنعة والمقصد، مازالت قائمة الأثر وموضعَ اهتمام بين الباحثين، فمِن ممارسٍ لفعل التفلسف في تقريرات الشريعة الكلّية[1] إلى مبرزٍ لعدم الانسجام بين العلوم النظريّة كالمنطق والرياضيات وبين ما تقرّر عند بعضهم في مبحث الإلهيّات[2]، إلى منافحٍ عن تمام الاتّصال بين الشريعة والحكمة باعتبار "أن الحقّ لا يضادّ الحقّ، بل يوافقه ويشهد له"[3].

وفي سياق البحث عن العلاقة الجدليّة بين الفلسفة وبين الفقه صدرت دراسات حديثة في شكل كتاب جماعيّ بعنوان: Philosophy and Jurisprudence in the Islamic World، وهو كتاب جماعيّ من تنسيق الباحث المشتغل بالفلسفة في ألمانيا حالياً Peter Adamson، وبمشاركة جملة من الباحثين والباحثات من مختلف التخصصات المعرفيّة، إلا أن الناظم بين بحوثهم جميعاً كونها قد قصدت إلى إبراز الأثر الفلسفي - بوجه ما - في بعض أعمال المسلمين الفقهيّة والأصوليّة أو غيرهما مما يشمله تخصّص الدراسات الإسلاميّة.

ضمّ الكتاب بين ثناياه جملة من المقالات، وحيث إن المقام لا يتسع لعرض جميعها لكثرتها، فقد اقتصرتُ على عرض ما رأيته وثيق الصلة بمجال الدراسات الفقهيّة والأصوليّة، أو ما يقرب منهما مما يستند إليهما أو يؤول إليهما في جملته، وذلك خمسة بحوث؛ نوردها مرتّبة منسوبة لأصحابها، مع التطرّق لمضامينها وما أثارته من قضايا، ثم نعود بالتعليق والمناقشة على علاقة أصول الفقه بالمنطق باعتبارها قضيّة تكرّرت في بحثين اثنين من هذا الكتاب.

1-المضامين

افتُتح الكتاب ببحث بعنوان: Philosophical Reflections in the Poetry of al-Shafi'i، لصاحبه George Tamer، [جورج تامر] وقد جعل صاحب البحث أشعارَ الشافعيّ محلّ دراسته قصد استخلاص تأمّلاته الفلسفيّة للزمن على وجه الخصوص، وكيف أثّر فهْم الشافعيّ للدهر على رؤيته للحياة على نحو عامّ[4]؛ من ذلك تأثيره عليه في تقسيم الناس إلى صديق وفيّ؛ وآخر مناقض له[5]؛ وأن العلم لا ينبغي أن يُبذل لمن لا يقدّر قيمته[6]؛ وسواء هذا أو ذاك؛ فهذه نتيجة لا يمكن التوصل إليها إلا من خلال التجربة التي يتيحها الزمن.

وفي وصْف آراء الشافعيّ حول الدهر بالفلسفيّة اتساعٌ وتجوّز لاعتبارين بارزين:

الأوّل: عدم اشتغال الشافعيّ بالفلسفة.

والثاني: كون حركة الترجمة التي على إثرها ستنتقل علوم الأوائل إلى البيئة الثقافيّة الإسلاميّة كانت أيام الشافعي ما تزال في بدايتها.

فما قد عُرف إذ ذاك إلى حدود زمن الشافعيّ لا يسمح بممارسة النظر الفلسفيّ على ما استقرّ عليه الأمر فيما بعد، اللهمّ إلا إذا اعتُبرت التأمّلات الصادرة عن الإنسان حول موضوع أو قضيّة ما فلسفة.

كان البحث الثاني بعنوان:
Ethics and Fiqh in al-Farabi's Philosophy الأخلاق والفقه في فلسفة الفارابيّ: للباحثة Feriel Bouhafa فريال بوحافة.

والذي انطلقت فيه من أسئلة ذات طبيعة جدليّة بين الفقه والأخلاق في فكر الفارابي، وهي تساؤلات حول العلاقة، والوظيفة؛ والتطابق؛ والمنهج، وقد كان القصد من السؤال الأوّل الكشف عن علاقة الفقه بالأخلاق.

وأمّا الثاني فقاصد إلى البحث عن وظيفة الفقه في تحديد الأساس المعياري للأخلاق.

وأمّا الثالث فاستشكال التطابق بين الفقه وبين المعايير الأخلاقيّة.

وأمّا الأخير فيروم تبيّن المنهج المعتمد لدى الفقيه في تحديد المعايير الأخلاقيّة في الفعل الإنسانيّ[7]. وقد استندت الباحثة في تحديد هذه التساؤلات من خلال أعمال الفارابيّ الأربعة: كتاب الملّة، وفصول العلم المدنيّ، وإحصاء العلوم، ثم كتابه حول آراء أهل المدينة الفاضلة[8]. وقد كان الهمّ الأوكد لدى الباحثة من خلال هذه التساؤلات البرهنة على أن الفارابي سعى إلى دمج الأخلاق كما هي مقرّرة في فلسفة أرسطو مع أدبيّاتها في الفقه الإسلاميّ[9]، مع اعتباره الفقه علما يندرج ضمن الفلسفة العمليّة، وقد كان هذا من أبرز ما خلصت له الباحثة[10].

تناول البحث الثالث معالجة موضوع الوجود الأخلاقيّ: ونظريّة الفقه عند ابن سينا Ibn Sina's Moral Ontology and Theory of Law وهو للباحثة Hannah C. Erlwein. وقد تولّى البحث الكشف عن علاقة الكينونة الأخلاقيّة بالفقه في فكر ابن سينا[11]: تنطلق الباحثة من الأمر الذي تفترضه عن وجود علاقة قائمة بين الطرفين، وكيف يمكن تمثّلها في فكر ابن سينا من خلال كتابه "الشفاء" الذي عرض فيه لمفهوم وطبيعة كلّ من الخير والشرّ اللذين تتصف بهما الأفعال الإنسانيّة[12]. لقد ركّزت الباحثة أساساً على الكشف عن مكانة الفقه في فكر ابن سينا ووظيفته مع ربطه بالأخلاق، أمّا مكانته فقد بوّأه ابن سينا موضعاً ضمن الحكمة العمليّة القاصدة إلى الاعتناء بسلوك الإنسان وتطهيره من الأدران، كما أن الحكمة النظريّة المشتملة على علوم الرياضيات والفيزياء والتوحيد قاصدة إلى تعليم الإنسان وتعقيله، ولا مندوحة للنفس الإنسانيّة من الحكمتين معاً حتى تبلغ كمالها[13].

وإذا كانت الأفعال الواقعة في الوجود بعضها خير وبعضها شرّ، فإن وظيفة الفقه عند ابن سينا هي البحث عن تعزيز الأفعال الخيّرة عن طريق مدحها ومدح أصحابها وبيان ما فيها من فضائل، وكذا بيان الأفعال الشرّيرة والنهي عنها، وذمّها وذمّ أصحابها[14]؛ ولا تقتصر هذه الوظيفة على الفرد في نفسه فحسب؛ بل الحاجة إليها ماسّة على مستوى المجتمع لتحقيق المدينة الفاضلة[15].

كان موضوع الباحثة Nora Kalbarczyk بعنوان:
In the Footsteps of Ibn Sina? The Usuli Debate on Argument Contrario

وهو بحث يسعى للكشف عن تأثّر الأصوليّين بفلسفة ابن سينا في اللغة والمنطق واستثمارها في مبحث مفهوم المخالفة[16] انطلقت الباحثة من هذه الإشكاليّة ساعية للبرهنة على ذلك التأثّر من خلال القسمة المنطقيّة الثلاثيّة التي عرضها الرازي في دلالات الألفاظ على المعاني، وهي دلالة المطابقة؛ ودلالة التضمّن؛ ودلالة الالتزام[17]؛ حيث استثمر الرازي هذا التقسيم في الردّ على القول بالمفهوم.

وحجّة الباحثة أن هذا التقسيم الثلاثي للألفاظ مقتبَس من مراتب المعنى عند ابن سينا، وهي صناعة منطقيّة بالأساس[18]، وقد وُجد المسلكُ نفسه -حسب رأي الباحثة- عند ابن الحاجب في مختصره الأصوليّ، والبيضاوي في منهاجه، وغيرهما[19].

أمّا الكاتبة Felicita Opwis فقد عنونت بحثها بـ:
Syllogistic Logic in Islamic Legal Theory: al-Ghazali's arguments for the Certainty of Legal Analogy

وقد تناولت فيه بالذات موضوع: المنطق المعياريّ في أصول الفقه الإسلامي: حجج الغزالي حول اليقين في القياس، فالباحثة قاصدة إلى إبراز قيمة المنطق في الثقافة الإسلامية من خلال صنيع أبي حامد الغزالي الذي مهّد لكتاب المستصفى بالمقدّمة المنطقيّة، وقد انطلقت الباحثة من سؤال:

لماذا الفقه في حاجة إلى المنطق؟

ومن ثمّ، فهي تسعى لإثبات أن علم المنطق في نظر الغزالي علم معياري: مستندةً في ذلك إلى قوله عقيب تحرير المقدّمة المنطقيّة أنّ تلك المقدّمة لا تختصّ بعلم أصول الفقه فحسب؛ بل تشمل جميع العلوم، ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه أصلاً[20].

قضد الكاتبة من الحديث عن المنطق أساساً مبحثُ القياس الذي يعتبره الغزالي آلة مفيدة في إنتاج الأحكام إفادة يقينيّة على طريقة البرهان من حيث إنه يتركّب من مقدّمتين ونتيجة[21]، ووجه يقينيّته أنه متى سلمت المقدّمتان سلمت النتيجة، وتكون إفادتها للحكم إفادة يقينيّة.

وتختم الكاتبة بحثها بما آل إليه وضع المنطق من بعدُ؛ حيث قد لقي ترحيباً من قبل العلماء المؤيّدين له ابتداءً من القرن الخامس الهجريّ[22].

2-مناقشة

نعرض في هذه المناقشة العجْلى لما أثير في بعض البحوث حول أصول الفقه وعلاقته بالمنطق، سواء في تأثّر الأصوليّين في مفهوم المخالفة بالترتيب الثلاثيّ للدلالات عند ابن سينا، أو في اعتبار الغزالي المنطقَ علما معياريّا وإدراجه له في أوّل كتاب المستصفى.

أصول الفقه والمنطق

كان أوّل من رحّب بالمنطق علماً موروثاً عن الأوائل هم الفلاسفة المسلمون، خصوصاً، الفارابي وابن سينا اللذين اشتغلا على تراث أرسطو الفلسفيّ؛ لكن انتقاله إلى بيئة علوم الوحي وُوجه بموقفين من قبل الفقهاء:

•موقف الرفض المطلق الذي لم يجز النظر فيه.

•وموقف الاعتراف به وإمكانيّة الاستفادة منه مثل سائر علوم الآلة.

وقد كان من بين أنصار الموقف الثاني ابن حزم الأندلسي (ت 456 هـ)، وأبو حامد الغزالي (ت 505 هـ)، إلا أن ما هو جدير بالانتباه هو أن المناصرين للمنطق من الفقهاء لم يكونوا على وزان واحد من حيث التفاعل معه، فابن حزم وإن رحّب بعلم المنطق ومشاركته في التأليف فيه؛ إلا أن كتابه: "التقريب لحدّ المنطق" كان تأليفاً مستقلاً بذاته،[23] يُدعو إلى تعلّمه

1.انظر: الفارابي، كتاب الملّة.
2.انظر: أبو حامد الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، الطبعة الرابعة، 1966 م، دار المعارف- مصر.
3.ابن رشد، محمد، فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق محمد عابد الجابري، 1997 م، مركز دراسات الوحدة العربيّة- بيروت، ص 96.
4.See: George, Tamer. Philosophical Reflections in the Poetry of al-Shafi'I, in Philosophy and Jurisprudence in Islamic Law, 2019, Walter De Gruyter, Berlin/. Boston, p4.
5. Ibdm, p7. 6. Ibdm, p8. 7.See: Ethics and Fiqh in al-Farabi's Philsophy, Feriel Bouhafa, p11. 8. Ibdm, p12. 9. Ibdm, p12. 10. Ibdm, p20. 11.See: Ibn Sina's Moral Ontology and Theory of Law, p30. 12. Ibdm, p30. 13. Ibdm, p 35-36. 14. Ibdm, p35. 15. Ibdm, p 37-38. 16.See: In the Footsteps of Ibn Sina? The Usuli debate on the Argumentum e Contrario, p53. 17. Ibdm, p57. 18. Ibdm, p58. 19. Ibdm, p65. 20.See: Syllogistic Logic in Islamic Legal Theory: al-Ghazali's Arguments for the Certainty of Legal Theory, p93. 21. Ibdm, p100. 22. Ibdm, p112. 23.انظر: ابن حزم، محمد، التقريب لحدّ المنطق.

لما فيه من فائدة ، وأما الغزالي فقد كان تفاعله مع علم المنطق تفاعلاً مغايراً، حيث لم يكتف بالتأليف المستقلّ الذي يدلّ على إلمامه بنظريّة الحدّ والبرهان فحسب[24]؛ بل دعا إلى الاستفادة منه في بناء الحدود وكيفيّة ترتيب الأقيسة، وهو ما يبرز في مقدّمة كتاب: "المستصفى من علم الأصول"، وفي كتاب: "القسطاس المستقيم"، الذي استثمر فيه الغزالي الآلة المنطقيّة في صياغة الموازين الخمسة من أجل إقامة الحجّة على محاوره من أهل التعليم الباطنيّة[25]؛ وذلك فيما يتعلّق بأمور التوحيد.

لم ير علماء الأصول قديماً حرجاً في أن يستفيد علم الأصول من علوم أخرى؛ كأن يقترض منها ما يتّفق مع موضوعه، ومحقّقاً أو مساعداً في تحقيق غايته، لا أن تكون تلك المسائل المقترَضة مُقحمة في علم أصول الفقه بدون جدوى[26]؛ فالضابط عندهم هو قيام الحاجة في علم أصول الفقه إلى هذه المسألة أو تلك، ولا فرق في ذلك بين علم وعلم مادامت إليها الحاجة قائمة، وأن اقتراض تلك المسألة يسدّ هذه الحاجة.

وعليه، فإذا كان الأصوليّون قد وظّفوا مسائل من علم المنطق في أصول الفقه فلا يعدو أن يكون مما تحدّثوا عنه في ضوابط الاقتراض من العلوم الأخرى، على نحو اقتراضهم من علم الكلام، وعلوم اللغة بعض المسائل المعرفيّة، ثمّ يوظّفونها بعد ذلك توظيفاً منهجيّاً في بناء القواعد. إلاّ أن الملاحظ هو أنّه ما اعتبر أحدٌ أنّ الأصوليّين قد تأثّروا بالمتكلّمين أو اللغويّين في اقتراضهم ذاك، فكيف اعتبرت الكاتبة Nora Kalbarczyk توظيف الأصوليّين للمنطق تأثيراً؟ هل لمجرّد أنهم استعانوا به فحسب؛ أم لأهمّيّة ما اقترضوا؟! فإذا كان لمجرّد الاستعانة فهذا الأمر ثابت لغير المنطق مما ذُكر، وإذا كان لأهمّيّة ما اقترضوا فما معيار الأهمّيّة؟! أليس ما اقترضه الأصوليّون من علم الكلام في غاية الأهمّيّة أيضاً، باعتبار أنّ علم الكلام هو العلمُ الذي يجد فيه علم أصول الفقه صحّة مقولاته؟

التسجيل الدولي مفتوح

أعلنت جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية عن فتح القبول الدولي في جميع برامجها وتخصصاتها عبر موقعها الإلكتروني

International admission is open

Mohamed Bin Zayed University for Humanities has announced the opening of admissions for all of its programs. Applications are accepted through its website.

24.نحو: معيار العلم في المنطق. ومحكّ النظر.
25.انظر: الغزالي، القسطاس المستقيم، تحقيق فيكتور شلحت، منشورات دار المشرق، بيروت- 1983. ص 22-ص99.
26.انظر: الغزالي، المستصفى، ص 7. الشاطبي، الموافقات، 1/42-45.

سوسيولوجيا الأسماء

Sociologie des prénoms

Baptiste Coulmont

قراءة عبدالدّائم السلامي
عضو الهيئة التدريسية في
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

لئن كانت وظيفةُ الاسم (اسم العَلَمِ)، في ظاهر استعماله العُمومي، لا تزيد على تحديد فَرْدٍ من النّاس بعينه، فإنّ النّظر في ممكناتِه الإحالية يكشف عن حقيقةِ أنه في كلّ الثقافات مَنْجَمٌ ثَرُ الوظائف والدّلالاتِ السوسيولوجية التي منها ما هو متّصل بذاتِ الشخص المُسمَّى به، ومنها ما هو متّصل بذاته الجماعية العميقة التي ينتمي إليها من حيث ما تعنيه من وقائع تاريخية، ومعتقَد، وظروف واقعية، وتدبير إداري وسياسي، ورأي عام، وفلسفة جمالية وذوقية. ومن صُورِ تلك الدّلالات في ثقافتنا العربية ما جاء في صبح الأعشى للقلقشندي من أنه قيل لأبي الدقيش الكلابي: "لِمَ تُسَمّون أبناءكم بِشَرِّ الأسماءِ، نحو كلبٍ وذئبٍ، وعبيدَكم بأحسن الأسماءِ نحو مرزوق ورباح"؟ فقال: "إنّما نُسمي أبناءَنا لأعدائنا وعبيدَنا لأنفسنا"، وهو يعني أن الأبناءَ مُعدّون للأعداء فاختاروا لأعدائهم شرَّ الأسماء، والعبيدَ مُعَدّون لخدمتهم فاختاروا لأنفسهم خيرَ الأسماء. وفي هذا الأُفُقِ الدّلاليّ للاسم، يتنزّل كتاب "سوسيولوجيا الأسماء" (لاديكوفارت، طبعة ثالثة 2022) للفرنسي باتيست كولمون، أستاذ السوسيولوجيا بدار المعلمين العليا بباريس، حيث سعى فيه إلى تقصّي وظائف الاسم عبر تاريخ أوروبا الحديث على حَدّ ما سيأتي في هذه القراءة.

1-ملكيةُ الاسم: من الكنيسة إلى الدولة:

على مدار العصر الوسيط، كانت تسمية المولود في أوروبا شأنًا تختصّ به الكنيسة دون سواها، وذلك باعتبارها المشرفة بإطلاقٍ على أحوال الأشخاص. فما أن يُعَمَّدَ المولودُ حتى يُسمَّى باسمِ أحد القدّيسين القدامى، مِمَّن لهم شهرةٌ كَنَسيّة أو من الذين انتصروا في معارك دينية لصالح الكنيسة، وبذاك الاسم تبدأ رحلة انتماء المولود إلى العائلة المسيحية. وقد بلغ الأمر بالكنسية الكاثوليكية في فرنسا، على سبيل المثال، أنْ أطلقت في القرن الخامس عشر خمسةَ أسماءٍ قدّيسين على ما يُقارب 70% من أتباعها.

وقد استمرّت هيمنة الكنيسة على تسمية مواليد أوروبا حتى قيام الثورة الفرنسية وإعلان النظام الجمهوري وعَلْمنة الدّولة سنة 1792، فظهرت الحاجةُ إلى إنشاء مجتمعٍ "شفّافٍ"، قابلٍ للقراءة والعَدِّ، ودالٍّ على هُويّة نظام الدّولة الإداري، مثله مثل العُملةِ، والأوزان، والقوانين، واللغة، والفلكلور. وصدرت بموجب ذلك مراسيم تَضْمن الوجود المَدَنيّ للمواطنين، وهو ما انتقل معه الحقّ في تسمية المواليد من الكنيسة إلى الأبَوَيْن، وصار الاسم مصدرَ إثباتٍ للهُويات الفردية التي أصّلت لها الثورة الفرنسية في أغلب أقطار أوروبا. وفي ضوء ذلك، استأنس نوّاب المجلس التشريعي الفرنسي بأسلوب التسمية عند الرومان، حيث كان الفرد فيه يَتَسَمّى باسمٍ ثلاثيّ يتكوّن من praenomen (اسم الولادة) nomeng (اللقب العائلي)، و cognomen (الكُنْية التي تهدف غالبًا إلى تفخيم شأن صاحبها)، فاختاروا من ذلك مصطلح اسم الولادة (prénom)، وكان اختيار هذا المصطلح من اللاتينية إنما هو جزء من افتتان أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر بعصورها الكلاسيكية سواء في المعمار أو في الأزياء، أو في الأدب، أو حتى في اختيار الأسماء، وجرّاء ذلك انتُزِع الشأنُ المدنيُّ من الكنيسة وأُسْنِد إلى الدولة ممثلةً بضابط الحالة المدنية الذي تقف مُهمّتُه عند تسجيل المولود بالاسم الذي يختاره له والداه متبوعًا بالاسم العائليّ لمزيد تعيينه.

2-الاسمُ وأحكامُ المُوضَة:

خضعت تسميةُ الأطفال في أوروبا، منذ بدايات القرن التاسع عشر إلى توجُّهَيْن اثنيْن: توجُّهٍ تقليديٍّ فيه محافظة على النماذج الاسمية القديمة، وتوجُّهٍ عصريٍّ فيه سعيٌ إلى التمايز عن القديم وانفتاحٌ على ذوقِ العصر. والظاهر أنّ الغلبة كانت للاتجاه الثاني، إذْ بدأ يتشكّل كاتالوج لأسماء جديدة فرضتها الخياراتُ الفرديّة للعائلات، وتنوّعُ أذواقها الجمالية، وخِبْراتها الحياتية.

وفي ضوء ذلك صار الاسم موضوعًا رمزيًّا خاضعًا لمزاج المُوضة وشروطها مثله مثل الأزياء وتسريحة الشَّعرِ. وما كان للاسم أن يكون موضوعًا للموضة لو لم يُجِلَّ الناسُ الذَّوقَ محلَّ القاعدة، أيْ: انتقال التسمية من سجلاتها الموروثة إلى كاتالوجات اسمية يختارها الوالِدان طبقًا لشروط الموضة في كلّ جيلٍ، وهي شروط تتميّز بالتقلّب والمزاجيّة، فما إن يتسارع استعمال الاسم ويبلغ ذروتَه حتى ينخفض الاهتمام به بالتسارع ذاته، فيُهمَلُ ويخلفه اسمٌ آخر، وهكذا دواليك. والملاحظ في هذا الشأن أن وتيرةَ تجديدِ أسماء الإناث كانت أسرع من وتيرة تجديد أسماء الذكور، وهي ظاهرة تحضر خاصة في الولايات المتحدة وألمانيا والمملكة المتحدة، وفي هذا كلّه ما يجعل الأسماء علاماتٍ دالةً على رفعةِ أذواقنا في اختيار بعضها، وعلى حجمِ اشمئزازنا من بعضها الآخر في الوقت ذاته. غير أنه يتوجّب علينا أن ننتبه إلى مَكرِ الموضةِ نفسِها، فهي لا تُمجّد الجديدَ دائماً، وإنّما لها حساباتُها الخاصّةُ، إذْ نُلفيها تلتفت بين الفينة والأخرى إلى بعض الأسماء القديمة لتُعيدَ تلميعَها وتسويقَها بين الناسِ في محاولة منها لخلخلة الأنساق الذوقية والجمالية، بل والفكرية للمجتمع.

ولأنّ الاسم صار من موضوعات المُوضة، فقد أصبح ممكنًا أن نسأل: هل للأسماء ثمنٌ؟ للإجابة عن هذا السؤال نقول إنّ ما يظهر من الاستعمال اليومي للأسماء يُحيل إلى أنّ الواحدَ منها يُختارُ ويُمنح للمولود بالمَجّان، فلا يُوجد مثلاً سوق تُسَعِّرُ الأسماءَ بحسب قانون العرضِ والطلب، ولا تُوجد غرامات تُسَلَّطُ على مَن يَغشّ في ميزان اسمه. هذا صحيح، ولكنّ مجّانيةَ الاسم تُخفي وراءها ضرائب رمزيةً ومادية تظلّ تُلاحق صاحبَه حيثما ذهب؛ من ذلك مثلاً أنّ تشابهًا في النطق بين اسم شخص واسمِ سِلعة تافهة، أو بينه وبين اسم شخص آخر مشهور بالسّخف أو بالعنف (اسم "أسامة" مثلاً بعد أحداث 11 سبتمبر)، قد يخلق للأوّل مشاكلَ عويصةً، إذْ يصير اسمُه مناطَ سخرية من قبل الآخرين، أو مناطَ ازدرائهم له، فإذا رغب في تغييره تطلّب منه الأمرُ مشقّةً في إعداد الوثائق اللازمة. وكم من اسم جَنَى على صاحبه!

3-استخدامات الاسم:

ما أن خلَا الاسمُ من حمولاته الدّينية والثورية (وهي تلك التي تفشّتْ في فترة حكم نابليون بونابارت)، حتى صار بالنسبة إلى علماء الاجتماع أداةً تُسهّل عليهم فهمَ بعض الظواهر الاجتماعية التي كانت صعبةَ الملاحظة والتفسير: ذلك أن اختيارات الأسماء وإنْ بدتْ أمورًا شخصيةً كما مرّ معنا، فإنها ليست فرديةً بحتةً بإطلاقٍ، إذْ تكشف الدراسات ذاتُ الصلةِ عن أنّ منحَ الأسماء يتَّبِع أنظمةً معيّنةً على مرّ التاريخ، وهو ما يعني أنّ الأسماء إنّما هي عبارة عن تمثّلات جماعيّة تُنتجها العقول الفردية التي يتكون منها المجتمع خلال فترة معلومة. ومن أمثلة ذلك ملاحظةُ أنّ وتيرةَ الأسماء المسيحية التي كانت تهدف إلى دمجِ الفرد في مجتمعه الديني عبر خلق علاقة روحية وثيقة بينه وبين القِدّيس، صارت تشهد انخفاضًا منذ نهاية القرن الثامن عشر، وهو ما يُعدُّ بالنسبة إلى البحث السيوسيولوجيّ مؤشّرًا دالاًّ على بداية تفشّي الثقافة العَلمانية في أوروبا منذ تلك الفترة. كما أنّ طبيعةَ الأسماء الجديدة قد صارت كاشفة عن التمييز الثقافي والاجتماعي والقِيَمي والجمالي بين الفئات التي تختارها. هذا، ناهيك عن أنّ للاسم قدرةً على تمكين الباحث من تبيُّن طبيعةِ العلائق العائلية من حيث امتداداتُها وكثافتُها وتقاطعاتُها، ذلك أن منحَ الأطفال أسماءَ الأقارب في العديد من البلدان الأوروبية، كان يُعَدُّ، إلى حدود القرن التاسع عشر، تعبيراً من تعبيرات التوريث العائليّ، غير أنّ هذا التوريث يبدو متعارِضًا مع مبدأ احترام الهوية الفردية للطفل الذي تتميّز به المجتمعاتِ الحديثةَ، وهو ما حدا بفرنسا إلى التخلّي عن مثل هذا النوع من التسميات منذ منتصف القرن العشرين.

ومن فضائل الاسم أيضًا أن البحث فيه يُمكّن من معرفة ما يعتري الرأيَ العامَّ داخل المجتمع من تموُّجات، أي: معرفة ما يشغل الناسَ خلال حقبةٍ من الزّمن محدَّدةٍ. وربّما يكون هذا هو السبب الذي دعا ألمانيا قُبيْل الحرب العالمية الثانية إلى دراسة اتجاهات رأي السكّان ومدى إيمانهم بالسياسة النازية وذلك من خلال معرفة أسمائهم، وفي ضوء تلك المعرفة وَضَع النازيون نظامًا في التسمية يُسهّل عمليةَ التحكّم في تلك الاتجاهات، ومنه خاصة تمييز المواطنين اليهود بتسمية خاصة. وفي هذا الشأن، تُشير الأسماء التي ظهرت في ألمانيا النازية إلى أنّ زُهاءَ نصف الألمان كانوا يرتبطون بهتلر وبالاشتراكية القومية، وقد تخلّت العائلات الألمانية، بعد الحرب العالمية الثانية، عن هذا التوجّه الاسميّ، وعادت تختار أسماء مواليدها وَفْقًا لأصولها الغربية اللاتينية والأنجلوسكسونية.

الجندر/ النوع:
مفهوم ونظريات

Les théories en études de genre
Éléonore Lépinard, Marylène Lieber

قراءة بلقاسم الجطاري
عضو الهيئة التدريسية في
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

هل يحتاج مَجمعُ القراءة إلى كتاب يركّبُ شتات الأسئلة التي سعت إلى الإحاطة بموضوع النوع- الجندر؟ يبدو أن الباحثتين إليونور ليبينار (Éléonore Lépinard) ومارلين ليبر (Marylène Lieber) تريان ضرورة ذلك؛ لا لاعتبارات أكاديمية ذات صلة باقتضاءات تخصص بعينه، بل لاعتبارات مرتبطة بما يمكن اعتباره طبيعة عرضانية تميز قضايا النوع في شموليته.

لقد أخذت الباحثتان على عاتقهما أن تعيدا تتبع الجينيالوجيات المختلفة لمفهوم النوع، فضلاً عن مختلف السجالات النظرية التي أثارها المفهوم وما يزال، علاوة على التصورات التي تراكمت في رحابه، على امتداد خمسين عاماً، سواء من حيث اعتبار ذلك إنتاجاً معرفياً أم باعتباره دليلاً على ممانعات.

الباحثة إليونور ليبينار، عالمة سوسيولوجيا وأستاذة بجامعة لوزان، مجمل إنتاجها العلمي يتمحور حول الحركات والنظريات النسوية، أما شريكتها في الكتاب مارلين ليبر، فهي عالمة سوسيولوجيا بدورها، وأستاذة بجامعة جنيف؛ متخصصة في قضايا العنف والفضاء العام والهجرة؛ وقد أدى تعاونهما إلى ميلاد كتاب "الجندر/ النوع: مفاهيم ونظريات"، الذي يقع في 128 صفحة، الصادر عن دار النشر «La decouverte»، بباريس.

يهدف هذا الكتاب إلى تعريف القارئ بالمناهج الرئيسية المختلفة التي تعتمد مصطلح "النوع" في مجال الدراسات ذات الصلة. إذ يعتبر النوع مصطلحاً ينفصل عن التفكير الطبيعي الذي يعيد وضع النساء والرجال في أدوار اجتماعية معينة بسبب ميزاتهم البيولوجية والتكاثرية. وهو يعتمد على منهجيات كثيرة مستقاة من العلوم الاجتماعية الدقيقة التي ازدهرت منذ نصف قرن.

يهدف هذا الكتاب أيضاً إلى تقديم إطار نظري للتعرف على هذا المجال الغني، والذي يتم التحدث فيه عن النقاشات والانحيازات؛ إذ يعتبر النوع مصطلحاً صالحاً لتوضيح العلاقات الاجتماعية بين النساء والرجال وتحليلها.

لهذا السبب، فإن المناهج المعروضة في هذا الكتاب ليست مناهج للدراسات النوعية فحسب، بل هي مناهج نسوية أيضاً، هدفها إنتاج معرفة أكثر إجمالاً عن المجتمع وتحقيق تغييرات فيه؛ لذا يجب دمجها مع "منهج النوع" الذي يهاجم النتائج العلمية التي تم إنتاجها منذ حوالي 50 عاماً في مجال الدراسات النوعية، وهو منهج ناتج عن محاولة رفض هذه النتائج من خلال الهدف الذي هو تعزيز نظرة احتكارية في العائلة الهيتيروجينية (متغايرة الجنس) والبطريريكية والنظام الاجتماعي.

في النهاية، فإن مصطلح النوع يشير إلى العمليات الاجتماعية، والثقافية، والتاريخية، والنفسية، التي تتشكل فيها الهويات النوعية والنوعية الجنسية، والعمليات التي ترسم فيها الحدود بين هذه الهويات وتتحايل عليها، والديناميكيات التي تحافظ على السلطة الموجودة في هذه الهويات والحدود أو تقسمها.

وبالتالي، فإن النوع ليس مجالاً للدراسات النوعية فقط، بل هو أيضاً مجال لعدد كبير من العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة، ولهذا السبب فإن المناهج المعروضة في هذا الكتاب تتعلق أيضاً بعلوم مثل: الطب والعلم الحيوي. بل إن القارئ يمكن أن يستفيد من المناهج المعروضة في هذا الكتاب للاطلاع على ما يحدث مع النساء في مجالات علمية مختلفة، وأن يتعرف على أدوات تحليل النوع في هذه المجالات.

ليس هذا فحسب، إن البحث في

محيط النوع معناه اختراق حلبة السياسة؛ ذلك أن كل مناهج الدراسات النوعية التي يتم تقديمها في هذا الكتاب هي مناهج نسوية. فهي تهدف إلى إنتاج معرفة أكثر تعقيداً عن المجتمع، وإلى تطوير هذا المجتمع. أضف إلى ذلك أن هذه المناهج الدراسية النوعية، حسب الكاتب، ليست نفسها "النظرية النوعية" التي يتحدث عنها فاعلون ثقافيون في العديد من الدول الأوروبية منذ عام 2010م.

ثم إن الكتاب يهدف إلى إبراز أهمية المنظور التقاطعي للجندر، ويظهر كيف كانت مسألة تداخل العلاقات الاجتماعية مع مفهوم الجندر موجودة في المنظورات الرئيسية في الدراسات الجندرية القديمة، حتى قبل وجود مفهوم التقاطعية في نهاية الثمانينيات.

بخلاف الكتب التي تقدم معظم الدراسات الجندرية التجريبية، يهدف هذا الكتاب إلى تقريب القراء من المنظورات الرئيسية المختلفة في الدراسات الجندرية، وذلك وبدون الرجوع إلى المنظورات التي قد لا تكون معروفة في السياق الفرنسي. وللوصول إلى هذا الهدف، يتعقب هذا الكتاب العوائق العلمية التي أدت إلى وجود هذا المفهوم وتاريخه في منظورات متعددة التخصصات. كما يعرض الكاتب كيف يتعلق الجندر مع العديد من علاقات السلطة الأخرى (مثل: العرق، الجنسية، العمر، التمييز بسبب الإعاقة أو الطبقة الاجتماعية)، ويدعو إلى النظرة التقاطعية في الدراسات الجندرية.

بالإضافة إلى ذلك، يتضمن هذا الكتاب نظريات كثيرة في مجال الدراسات الجندرية، من البنية العامة وصولاً إلى المنظورات الخاصة، وهي دراسات تعتمد على العديد من المبادئ العامة التي تهدف إلى تحليل التحولات الاجتماعية وتعزيزها.

يهدف الكتاب إلى تعريف القارئ بمختلف المنظورات الرئيسية في مجال الدراسات الجندرية. ويقدم لذلك إطارات نظرية لتسهيل التنبؤ في هذا المجال المليء بالمناقشات والعصبيات. كما يدعو إلى التأمل في منظور متقاطع للجندر، ويشير إلى كيفية التعامل مع سوء التصرف العنصري والتمييز الاجتماعي.

هذا ولا يغفل الكاتب أن يذكرنا بأن للجندر معنى سياسياً أساسياً، ذا علاقة بتوزيع القوة في المجتمع. وهكذا فإن هذا المجال النظري يسعى، حسب رأيه، إلى تحليل التحولات الاجتماعية من خلال تقديم معرفة أكثر تفصيلاً حول المجتمع.

إن نظرية الجندر، حسب الكاتب، تأخذ شكل نماذج للتعامل مع العلاقات الاجتماعية بين الرجال والنساء، كما تتمثل في نماذج للتعامل مع العلاقات الاجتماعية التي تتعلق بالجندر والتي تعمل على تحقيق التساوي في المجتمع. كما يستخدم الكاتب نظرية الجندر في تحليل العلاقات الاجتماعية التي ترتبط بالعلاقات الجندرية، وفي التعامل مع العنصرية والعدل الاجتماعي والحقوق المدنية المتعلقة بالجندر.

واعتباراً لكل ما سبق، فإن القارئ المسكون بهاجس السعي إلى المشاركة في الحياة المدنية والسياسية، مدعو إلى قراءة أطروحة "إليونور"، ومناقشة ما يعرضه الكتاب من إجابات عن قضايا النسوية وتحديات المساواة وأسئلة الراهن الثقافي.

مقامات بديع الزمان الهمذاني

The Maqāmāt of Badīʿ al-Zamān al-Hamadhānī

Bilal Orfali and Maurice Pomerantz

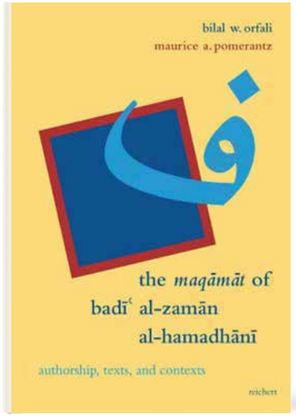

قراءة لينا جمال
متخصصة في الأداب

تشهد الساحة الأكاديميّة العربيّة منذ مطلع القرن الواحد والعشرين اهتمامًا متزايدًا بالهمذانيّ (ت 1008/398) ومقاماته، والدليل على ذلك عشرات المقالات[1] والرسائل الجامعيّة[2] والكتب[3] التي صدرت في العقد الأخير فحسب (2012م-2022م). والسبب - في رأينا - يرجع إلى كتاب قيّم وضعه الأديب والناقد المغربيّ عبد الفتّاح كيليطو، وعُني فيه باستجلاء ما في المقامات من أنساقٍ تاريخيّة وجغرافيّة واجتماعيّة وشعريّة، وذلك بعرضها على غيرها من نصوص ط الرابع/العاشر والنظر في تلقّيها لدى معاصري الهمذانيّ. لقد صدر كتابه بالفرنسيّة عام 1983م بعنوان: Les séances: récits et codes culturels chez Hamadhânî et Harîrî، ثمّ نُقل إلى العربيّة عام 2001م بعنوان المقامات: السرد والأنساق الثقافيّة. ولم يكن كيليطو أوّل باحثٍ يُفرد كتابًا للمقامات في القرن الماضي، لكنّه أسّس لمرحلةٍ جديدة من الاهتمام البحثيّ العربيّ بالمقامات عامّة، ومقامات الهمذانيّ على وجه الخصوص. ويُضاف إلى الجهود العربيّة البحثيّة الضخمة، جهودٌ أخرى وُضعت بغير العربيّة لدراسة المقامات، والمؤسف أنّها - كلّها أو جُلّها - تقوم على أساسٍ واهٍ لاعتمادها الطبعات المنشورة.

تدعو هذه الملاحظة إلى إعادة النظر في مجموع الأبحاث التي عالجت مقامات الهمذانيّ في العصر الحديث، فمخطوطات الكتاب التي وصلتنا تختلف عن الطبعات المنشورة، وتختلف كذلك في ما بينها، الأمر الذي يستوجب دراسة وافية لتاريخيّة النصّ قبل الشروع في دراسته أو تحليله. وقد نبّه إلى ذلك دونالد س. ريتشاردز (Donald S. Richards) عام 1991م،[4] وتابعه إبراهيم جريس عام 2011م؛[5] ورغم وعي باحثين آخرين كثيرين بخلل الطبعات المنشورة، لم يبادر أحد إلى تحقيقها تحقيقًا علميًّا. في هذا الإطار، يُعَدّ عمل الأرفه لي وبومرانتز عملًا ضخمًا وشاقًّا لم يُسبقا إليه، فكتابهما أوّل محاولةٍ جدّيّة لدراسة مخطوطات مقامات الهمذانيّ ومقارنتها وتصنيفها وتحقيق بعض المقامات وشرحها.

ينقسم الكتاب كما يظهر في عنوانه إلى ثلاثة محاور كبرى (التأليف، والنصوص، والسياقات)، ويتفرّع كلٌّ

1. يبلغ عدد المقالات العربيّة التي تناولت مقامات الهمذانيّ في العقد الأخير قرابة 50.
2. رائد محمّد مفلح أبو زيد، "جدليّة الأدب والواقع: مقامات الهمذاني نموذجًا" (رسالة ماجستير، جامعة جرش، 2013)؛ رفيدة محجوبي، "البطل الإشكاليّ في مقامات الهمذانيّ" (رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، 2019)؛ سمراء فرحاتي، "أدوات الاتّساق ومظاهر الانسجام في النصّ القصصيّ: دراسة في مقامات الهمذانيّ" (رسالة ماجستير، جامعة محمّد خيضر، 2015)؛ عبد الرحمن بريقش، "دور الإحالة في الاتّساق النصّيّ: مقامات الهمذانيّ عيّنة" (رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، 2015)؛ ماجدة السايح لمبارك، "جماليّة تداخل الخطابات في مقامات بديع الزمان الهمذانيّ" (رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، 2019)؛ مداني خويلدي، "تلقّي مقامات الهمذانيّ في النقد العربيّ الحديث من خلال كتاب المقامات والتلقّي لنادر كاظم" (رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، 2017)؛ منيرة هبيتة، "المبهمات والضمنيّات في مقامات الهمذانيّ: دراسة تداوليّة" (رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، 2017)؛ وعد ستّار ناصر، "الشعر في مقامات الهمذانيّ في ضوء نظريّة الأجناس" (رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، 2016).
3. أيمن بكر، مقامات بديع الزمان الهمذانيّ (القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 2019)؛ باسم ناظم سليمان ناصر المولى، سيكولوجيّة الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذانيّ (الإسكندريّة: المكتب الجامعيّ الحديث، 2012)؛ خالد الوغلاني، إشكاليّة الجنس الأدبي في المقامات: مقامات بديع الزمان الهمذانيّ أنموذجًا (تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، 2021)؛ علي محمّد السيّد خليفة، الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذانيّ: دراسة تحليليّة (الإسكندريّة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2010)؛ مصطفى الرقا، عصر الهمذانيّ من خلال مقاماته (الرباط: دار نشر المعرفة، 2020).
4. D.S. Richards, "The Maqāmāt of al-Hamadhānī: General Remarks and a Consideration of the Manuscripts," Journal of Arabic Literature 22 (1991): 89-99.
5. Ibrahim Geries, "Badī al-Zamān al-Hamadhānī's Maqāma of Bishr b. Awāna (al-Bishriyya)," Middle Eastern Literatures 14 (2011): 121-53.

منها إلى فصولٍ يبلغ مجموعها سبعة.

يحدّد المؤلّفان في المقدّمة إطارًا تاريخيًّا ونظريًّا لـ المقامات يساعد القرّاء في تلقّي فصول الكتاب لاحقًا، وفيها تعريفٌ بالمقامة، ونبذة عن السياق الذي وضع فيه الهمذانيّ مقاماته حتّى استحقّ بفضلها لقب "بديع الزمان." وللمقامة الهمذانيّة بنيةٌ نمطيّة متكرّرة، كان ياكو هامين-أنتّلا (Jaakko Hämeen- Anttila) قد أرسى عناصرها في كتابه مقامة: تاريخ نوعٍ أدبيّ (Maqama: A History of a Genre) الذي صدر باللغة الإنجليزيّة عام 2002م. تبدأ المقُامة عادةً بارتحال الراوي "عيسى بن هشام" إلى موضعٍ جديد، حيث يلتقي رجلًا غريبًا يختبئ خلف أحد أقنعته - المادّيّة و/أو الرمزيّة - ويحاول خداع الناس للحصول على أموالهم، ثمّ يسقط القناع أمام الراوي ويكتشف أنّ البطل ما هو إلّا المحتال الشهير أبو الفتح الإسكندريّ. وقد ربط الأرفه لي وبومرانتز بذكاء بين حركيّة بطلي المقامة وحركيّة نصّها ضمن حقولٍ معرفيّة شتّى تستقي منها مادّتها، لتعبّر أكثر عمّا يرمز إليه مصطلح "الأدب." ثمّ استعرضا إسهامات الباحثين - العرب والمستشرقين - في دراسة المقامات بدءًا من القرن الثامن عشر، واستفاضا في الحديث عن ثغرات طبعة عبده.

يضمّ القسم الأوّل "التأليف" فصلين مطوّلين، يعالج أحدهما فرضيّة أثر ابن فارس (ت 1004/395)، أستاذ الهمذانيّ، في نشأة المقامة، فيما يعالج الثاني مسار تشكّل مجموعة المقامات.

اشتعل في القرن الماضي جدلٌ حول مبدع المقامة الأوّل، لا سيّما أنّ المقامة تشترك في مزاياها مع أشكالٍ أدبيّةٍ أخرى عرفها القرن الرابع/العاشر، أبرزها أحاديث ابن دريد (ت 933/321). أمّا جرجي زيدان (ت 1914) فقد رأى أنّ الهمذانيّ قد استعار أسلوبه النثريّ من ابن فارس، وهي فرضيّةٌ قديمة تؤكّدها نسبةُ المقامات إلى ابن فارس في بعض المخطوطات. وقد وقع المؤلّفان على دليلٍ نصّيّ مهمّ يُحيي هذه الفرضيّة، وهو مقطعٌ من كتابٍ مخطوط لابن فارس بعنوان قصص النهار وسمر الليل، يعيد فيه سرد خبر زيارة الأعشى ميمون بن قيس (ت بعد 629م) إلى النبيّ (صلى الله عليه و سلّم) بأسلوبٍ أدبيّ خاصّ. وحتّى يتبيّن القرّاءُ خصائص أسلوب ابن فارس، حشد المؤلّفان رواياتٍ مختلفة للخبر نفسه أوردها كلٌّ من ابن هشام (ت 828/213 أو 833/218)، وابن قتيبة (ت 889/276)، والإصفهانيّ (ت 967/356). ويظهر أنّ ابن فارس قد ارتكز في روايته إلى النثر المسجَّع، وخلط الشعر بالنثر، واعتمد على الحوار بين الشخصيّات، كما أنّ بطله كان شاعرًا "مرتحلًا" تغيّرت مساراته بفعل الحيلة وسلطة الكلمات. ولا يتسرّع المؤلّفان في استخلاص النتائج، فلا يجزمان بتأثير ابن فارس في نشأة المقامة، لكنّهما يتساءلان عن مدى أدبيّة المقامة لا سيّما أنّ كلًّا من ابن فارس وابن دريد كان لغويًّا بارزًا في عصره.

يخوض الفصل الثاني في تشكُّل مجموعةٍ للمقامات بعد وفاة الهمذانيّ، فالأخير وضع مقاماته منفردةً وألقاها بين النخب الفكريّة في عددٍ من البلاطات من دون أن يجمعها في كتاب. ومع ذلك، يبدو واعيًا بتأليف مجموعة، لتكرار الشخصيّتين الرئيستين، وطريقة الكشف السرديّة، فضلًا عن الارتحال من موضعٍ إلى آخر في كلّ مقامة. وكان الهمذانيّ قد زعم في مناظرةٍ له مع أبي بكرٍ الخوارزميّ (ت 993/383) أنّه وضع ما يزيد على 400 مقامة، لكنّ المجموعات الأقدم لـ المقامات ضمّت عشرين إلى ثلاثين مقامةً فقط. ثمّ ظهرت بين القرنين السادس والعاشر/الثاني عشر والسادس عشر مجموعاتٌ أكبر، ضمّ بعضُها أربعين مقامة انسجامًا مع مجموعات الأحاديث النبويّة الشائعة، وبعضُها الآخر خمسين مقامة تمثُّلًا بعدد مقامات الحريريّ (ت 1122/516). وقد اجتمع لدى المؤلّفين مع الوقت أكثر من أربعين مخطوطة للمجموعات المختلفة، تمكّنا من فحصها وتوصيفها ومن ثمّ تصنيفها ضمن ثلاثة فروع، مع دراسة مطالع بعضها وخواتيمها. لقد ظلّ نصّ المقامات مفتوحًا لعددٍ من القرون، وتعدّدت محاولات ختمه لا سيّما أن قصّة بطله أبي الفتح لم تعرف نهايةً كما هي الحال مع بطل مقامات الحريريّ.

يركّز القسم الثاني "النصوص" على أربع مقامات لم ترد في الطبعات المنشورة لـ مقامات الهمذانيّ. يوضح الفصل الثالث كيفيّة اهتداء المؤلّفين إلى المقامة الطبّيّة المفقودة، وقد يكون هذا أهمَّ اكتشافاتهما في عالم المقامات. أمّا الفصل الرابع فيقدّم أوّل نشرةٍ محقّقة للمقامات الهمذانيّة والشريفيّة والخاتميّة.

ترد المقامة الطبّيّة في مخطوطةٍ يتيمة هي مخطوطة جامعة يال (Yale University)، ويبدو أنّ خطأً قد حصل في نسخها لأنّ نصّها جاء في شطرين ضمن موضعينِ متباعدينِ من المخطوطة، والراجح أنّ النسّاخ قد عزفوا عن إعادة نسخها لهذا السبب. أعاد المؤلّفان بناء نصّ المقامة، وأرفقا تحقيقها بترجمةٍ إلى الإنجليزيّة مع إحالة المفردات الطبّيّة الكثيرة إلى مواضع ورودها في المصادر القديمة، فجاءت حواشي الترجمة لمحةً قيّمة عن الثراء المعرفيّ الذي عرفته مؤلّفات الطبّ والأدوية في التراث العربيّ. وتتّفق المقامة الطبّيّة مع بنية المقامة الهمذانيّة بلغتها وأسلوبها ومفرداتها وحبكتها وشخصيّاتها، ولذلك تُرجِّح صحّة نسبتها إلى الهمذانيّ.

ولا تغيب المقامة الطبّيّة وحدها عن الطبعات المنشورة، فقد رصد المؤلّفان ثلاث مقاماتٍ أخرى ترد في ربع المخطوطات التي بين أيديهم من دون أن تكون جزءًا من الطبعات المنشورة. ويقدّم الفصل الرابع تحقيقًا علميًا لهذه المقامات باعتماد إحدى عشرة مخطوطة، مع شرحٍ موجزٍ لكلٍّ منها. ويصعب الجزم في نسبتها إلى الهمذانيّ - شأنها في ذلك شأن المقامة الطبّيّة - لكنّ الأخذ بها ضروريّ عند دراسة تاريخ النصّ.

يدرس القسم الثالث "السياقات" المقامتينِ الموصليّة والشاميّة.

ويُخصَّص الفصل الخامس للمقامة الموصليّة التي حظيت باهتمامٍ بحثيّ خاصّ لاختلافها عن سائر المقامات، فهي تضمّ قصّتين مترابطتينِ بدلًا من قصّةٍ واحدة، وارتحالينِ، في مطلع المقامة ووسطها، بدلًا من واحد، كما أنّ البطل يرافق الراوية منذ البداية، ويُطلعه على حيله، ويشترك معه في الجوائز والعقوبات. فارتأى المؤلّفان تحقيقها وإعادة نشرها مع ترجمةٍ إلى الإنجليزيّة وتفسيرٍ وافٍ يبيّن أهمّيّتها. وتضجّ هذه المقامة بالثيمات القرآنيّة، وبالتحوّلات الحقيقيّة والمجازيّة، وقد أظهر المؤلّفان ذلك بالكشف عن شبكة تقاطعها/تناصّها مع نصوصٍ أخرى كلاسيكيّة.

يُعنى الفصل السادس بالمقامة الشاميّة، وهي تصوّر جانبًا من وقائع مجلس القضاء وما يتّصل به من محاذير ظهور المرأة وكلامها عن خصوصيّة علاقتها الزوجيّة. وقد بيّن المؤلّفان تداعيات ذلك لا سيّما أنّها المقامة الهمذانيّة الوحيدة التي جرت أحداثها في مجلس القضاء، وهي تثير مسائل تاريخيّة واجتماعيّة ودينيّة، وقد تركت أثرًا في أعمالٍ تلتها من بينها أربع مقاماتٍ قضائيّة في مجموعة الحريريّ. يقدّم هذا الفصل تحقيقينِ للمقامة، أحدهما يستند إلى مخطوطة متأخّرة، وذلك لإظهار التغيّرات والتدخّلات التي قد تطرأ على نصّ المقامة مع الوقت. وبعد ترجمة نصّها إلى الإنجليزيّة، يضيء الشرح على مسائل وازنة، منها شهادة النساء في مجالس القضاء في العصر الإسلاميّ المبكّر. يدحض المؤلّفان في الفصل الأخير فكرة غياب شروحاتٍ قديمة لمقامات الهمذانيّ، ويستعرضان وجود مقاطع تفسيريّة في أقدم المخطوطات التي وصلتنا، وهي خاصّةٌ بالمقامات الرصافيّة والعراقيّة والنهيديّة والبصريّة والفزاريّة والكوفيّة. ويقترحان استنادًا إلى عددٍ من الإشارات النصّيّة أنّ التفاسير قد تكون من وضع الهمذانيّ نفسه، وهو اقتراحٌ بالغ الأهمّيّة لأنّ التفاسير بذلك تعكس ما قصده الهمذانيّ من مقاماته، وما تلقّاه جمهوره حينها، ومن بينهم مؤلّفو المقامات بعده.

تتخطّى أهمّيّة هذا الكتاب حدود نصّ المقامات بكثير، فهو يطرح قضايا نقديّة عميقة تتعلّق بمعايير الحكم على التراث، وسلطة النصّ وتاريخه، ودور المحقّق، وثنائيّة الأصالة والتقليد، ونشأة النوع الأدبيّ وتحوّلاته، وتقاطع الأدب مع غيره من فروع المعرفة، وغير ذلك. ومن الضروريّ أن تكون مثل هذه القضايا جزءًا من المساقات الجامعيّة التي تدرّس الأدب العربيّ القديم عمومًا.

ختامًا، يُسهم بعض الأشخاص في إعادة تشكيل الحقل المعرفيّ الذي تخصّصوا فيه، فلا يبقى الحقل بعدهم كما كان قبلهم. ومن هؤلاء كان إحسان عبّاس (1920م-2003م) ووداد القاضي (1943م) اللذان يمثّلان مدرسةً عريقةً في خدمة الأدب والتراث العربيّ، وأرى الأرفه لي وبومرانتز في عملهما على مقامات الهمذانيّ من ورثةِ تلك المدرسة. لقد أعادا توجيه البوصلة إلى المتلقّي ومعارف عصره وذائقته الجماليّة، وغيّرا المنظور الذي تُدرَس به المقامات، فانتقلت بهما من شاهدٍ على تدهور النثر العربيّ إلى شاهدٍ على ثرائه وتنوّع فنونه وأشكاله.

6. Jaakko Hämeen-Anttila, Maqama: A History of a Genre (Wiesbaden: Harrassowitz, 2002), 45.

الطب العسكري الروماني:
الاستمرار في السهوب الحديثة

Roman Military Medicine:
Survival in the Modern Wilderness

Valentine J. Belfiglio & Sylvia I. Sullivant

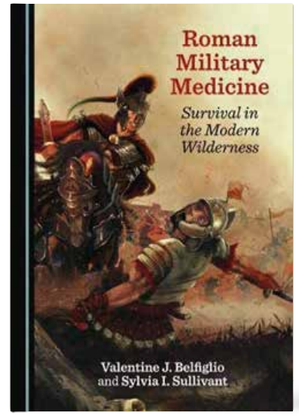

قراءة زياد السلامين
عضو الهيئة التدريسية في
جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

يقول الطبيب الإغريقي أبقراط: "الحرب هي أفضل مدرسة للجرَّاح". كان الطب الروماني في البداية قائمًا على عدد من الممارسات الاجتماعية والدينية المتوارثة كالسحر والخرافات والأساطير، ولكن الحال تغيَّر بمرور الوقت؛ أي مع تطوُّر البنية السياسية والعسكرية الرومانية، وتأثُّر الرومان بشكل كبير بالإنجازات الطبية الإغريقية، فدُرِّست العلوم الطبية في روما وغيرها من مناطق الإمبراطورية، وانتشرت النظريات الطبية اليونانية بين الأطباء الرومان وعملوا بها.

وتحسَّن الوضع الطبي في ظل الإمبراطورية الرومانية بعد وصول الطبيب أسكيبياديس البيثيني إلى روما في نهاية القرن الأول الميلادي، فأصبح الطب العسكري التزامًا إمبراطوريًا، وتحسَّنت مكانة الجراحين العسكريين. وبغية اجتذاب الأطباء إلى روما، منحهم يوليوس قيصر حقوق المواطنة الرومانية، ودفع جرمانيكوس للجراحين العسكريين أجورًا من جيبه الخاص. وكان لكل فيلق وسفينة بحرية رومانية، في عهد الإمبراطور تراجان (98 - 138 م)، جراحين خاصين بهم، وحملوا رتبًا عسكرية تعادل رتب ضباط الصف. وكانوا يعفون من القتال والقيام بالواجبات العسكرية الروتينية، ومع توسُّع الإمبراطورية إلى ما وراء شبه الجزيرة الإيطالية، أنشأت روما شبكة من المستشفيات العسكرية الميدانية (valetudinaria) بهدف تقديم الخدمات العلاجية للجنود في الميدان.

لقد زوَّدتنا المصادر الرومانية بمعلومات مفصَّلة عن القطاع الطبي الروماني، كما خلَّدت لنا المصادر التاريخية أسماء المئات من الأطباء الرومان، وعلى رأسهم جالينوس، الإغريقي الأصل، الذي بنى تشخيصه للمرض اعتمادًا على الملاحظات السريرية، وألَّف عددًا من المؤلفات الطبية التي ترجم بعضها المسلمون إلى العربية، بالإضافة إلى الطبيب ديُسقوريدس الذي كان أحد أطباء الجيش الروماني، وهو مؤلف كتاب "المادة الطبية" de Materia Medica، الذي يصف فيه ستمائة نبات طبي استخدمه الممارسون للطب في المعالجات الطبية.

وفي السياق ذاته، كشفت الأعمال الأثرية الميدانية عن الكثير من الأدوات الطبية الرومانية، بالإضافة إلى برديات طبية ساهمت في توسيع آفاقنا عن الواقع الطبي آنذاك، منها برديات مصرية تعود للفترة الرومانية، وتحتوي وصفات طبية، ومعلومات عن الأمراض والجراحة وتقنيات التدخلات العلاجية.

ويقع كتاب "الطب العسكري الروماني: البقاء في الأصقاع الحديثة" الذي نتناوله بالعرض ضمن هذا السياق، في عشرة فصول، ويُشير عنوان الكتاب إلى تناول المؤلفين لموضوع استمرارية التقاليد والممارسات الطبية الرومانية حتى الوقت الحاضر، إلا أن المؤلفين فشلا في تتبع هذا التطور، ولم يفلحا في سبر أغواره، الأمر الذي يجعل الشق الثاني من العنوان غير منسجم تمامًا مع محتوى الكتاب.

شكَّلت المقدمة الفصل الأول من الكتاب، واشتملت على تعريف موجز بالجيش الروماني وبنيته التركيبية، وبالقوات البرية والبحرية، بالإضافة إلى أنواع العمليات العسكرية البرمائية، ثم انتقل المؤلفان للحديث عن الطب العسكري كجزء من النظام العسكري الروماني، وأكدا تمكُّن الأطباء المشتغلين في الفرق العسكرية من تطوير خبرات ومهارات لعلاج الجنود المصابين، واستنتجا أن الجراحة كانت إحدى الممارسات الطبية المتبعة في الميدان حتى يتمكَّن الجنود من العودة إلى ساحة القتال في أسرع وقت ممكن.

ومما يجدر ذكره هنا، أن الأطباء العسكريين الرومان كانوا يعالجون القادة العسكريين رفيعي المستوى فقط خلال فترة الجمهورية الرومانية (509- 31 ق.م)، في الوقت الذي كان الجنود العاديون فيه يتلقون خدمات علاجية من أطباء مدنيين مقابل أجر، ويتلقون إسعافات أولية من زملائهم ورفاقهم في الميدان وحسب. وتغيَّرت الحال بعد تشكيل الإمبراطورية الرومانية على يد اوكاتفيوس قيصر؛ إذ استعانت روما بأطباء لتقديم الخدمات العلاجية لأفراد الجيش برمته، وأصبح لهؤلاء الأطباء رتبًا وظيفية، ومخصَّصات تقاعدية، فوضع هؤلاء الأطباء أسسًا ساعدت في جعل المعالجة الطبية تتم وفق معايير داخل الفرق والفيالق العسكرية.

وكانت من مهام موظفي القطاع الطبي الروماني العسكري اتخاذ تدابير الرعاية الصحية والوقائية، مثل بناء وصيانة المراحيض داخل المعسكرات، وحث الجنود على الاستحمام اليومي، وتزويد الجنود بناموسيات للوقاية من لدغات البعوض، وضمان ممارسة الجنود لنظام غذائي مناسب، حيث ساهمت هذه الإجراءات في تحسين الأوضاع الصحية داخل الوحدات العسكرية الرومانية.

كان الأطباء يدربون فئة من الجنود الذين كانوا يخدمون في مقدمة الجيش تدريبًا أوليًا، بهدف تقديم العلاج الأولي للجنود المصابين مثل التضميد وغيرها من التدابير العلاجية الضرورية لوقف النزيف. وكانت هناك أيضًا وحدات هدفها ترحيل الجنود من ساحة الحرب لمعالجتهم في المستشفيات العسكرية الميدانية، وكان في هذه المستشفيات موظفون مدربون على كيفية التعامل مع لدغات الأفاعي والعقارب.

بالإضافة إلى ذلك، طوَّر الأطباء العسكريون الرومان صناعة أدوات طبية جديدة ساعدت في استخراج الرماح من أجساد المصابين، واستخدموا أدوات مطهرة كالمحاليل الخِلِيَّة والعوسج، والضمائد والعسل أثناء معالجة الجروح لتقليل خطر انتشار العدوى، وتعقيم الأدوات الطبية باستخدام الماء الساخن، كما استخدموا مواد مجهزة مصنوعة من الأفيون (مخدر مستخرج من أحد أنواع النباتات)، والبنج الأسود، والبيروح الأبيض (نبات) كمهدئات ومسكنات.

تحدَّث المؤلفان في الفصل الثاني عن التدابير الصحية المتخذة داخل المستشفيات العسكرية الرومانية، واستنتجا في نهاية هذا الفصل أن الجيش الروماني كان أول جيش قديم يمارس درجة ملائمة من النظافة والتدابير الصحية داخل المستشفيات العسكرية. إذ أثبتت الدراسة أن الأطباء العاملين في المستشفيات العسكرية عرفوا الميكروبات والجراثيم التي تسبب الأمراض، وأدركوا خطورة انتقال العدوى بين الجنود.

خصَّص الباحثان الفصل التالي للحديث عن السيطرة على الأوبئة خلال الفترة ما بين 27 ق.م - 476م، حيث اشتمل هذا الفصل على عرض موجز للمصادر التاريخية ذات العلاقة، تبع ذلك شرح مقتضب عن الأمراض السارية التي كانت شائعة في العالم الروماني، وانتشار الأوبئة في روما القديمة والاستراتيجيات الرومانية في التعامل معها، وتشغيل وتدريب المهنيين داخل الوحدات العسكرية، والتدابير الصحية لمعالجة المصابين بها. واستنتجا في نهاية هذا العرض أنه وخلال فترة الإمبراطورية الرومانية، عانى الآلاف من الجنود من الأمراض السارية، الأمر الذي دفع الرومان إلى تطوير نظام طبي عسكري.

ويقول الباحثان إن الجيش الروماني كان أول جيش قديم يوظف رجالًا مدربين لتقديم الإسعافات الأولية، ولتقديم الخدمة العلاجية الثانوية للمصابين العسكريين، بالإضافة إلى توفير المستشفيات الميدانية، وقدرة المعالجين على تصنيف الإصابات.

وتحدَّث المؤلفان عن علاج الجروح ومداواة الآلام في الجيش الروماني، فعرضا بشكل مقتضب مصادر دراسة هذا الموضوع التاريخية، وانتقلا بعدها للحديث عن النظام العسكري الروماني والأسلحة المستخدمة، وعلاج الجنود داخل أرض المعركة وفي المستشفيات العسكرية الميدانية، والمداواة العلاجية وغير العلاجية للأمراض، والجراحة في المستشفيات الرومانية العسكرية الميدانية، وعلاج الأمراض المزمنة، وعرَّجا على المسبِّبات الأساسية للألم المزمن، والتخدير الذي كان يسبق التدخلات العلاجية الجراحية، فالجراحة والتخدير الموضعي، ورعاية ما بعد التدخل الجراحي.

وفي نهاية هذا السرد الموجز استنتج الباحثان أنه، وخلال فترة الإمبراطورية الرومانية، عانى آلاف الجنود من إصابات ورضوض في الجماجم أثناء القتال، وأدت بعض هذه الإصابات إلى آلام مزمنة، وشملت العناية الطبية المباشرة استخدام المهدئات بعد الإصابة، كما ساهم استخدام مسكن الألم التخديري في علاج كثير من الإصابات.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أننا نجد أن المنهج الطبي في التعامل مع الرضوض كان موثقًا في المصادر الطبية المصرية الفرعونية القديمة، وكذلك المصادر الإغريقية التي ورثها الرومان، إذ تشتمل البرديات المصرية على بردية معروفة باسم بردية إدوين سميث، وهي تحتوي على معلومات عن معالجة الجروح والإصابات والكسور والجروح والأورام، وربما كانت هذه دليلًا على المعالجة والجراحة العسكريتين.

ومن المواضيع التي تطرق لها الباحثان موضوعي اضطرابات ما بعد الصدمة Post- Traumatic Stress Disorders واضطرابات الصدمة الحادة لدى الجيش Acute Stress Disorders، إذ تمكَّن بعض الأطباء الرومان من تمييز اضطراب القلق العام لدى الجنود ووصفوا لهم العلاج.

وبدأ الباحثان نقاشهم بتعريف هذين الاضطرابين، وقدَّما سردًا موجزًا للأدبيات القديمة التي تناولتهما، وانتقلا بعد ذلك للحديث عن الثقافة العسكرية الرومانية، والتأثيرات البيولوجية العصبية، والغزو الغالي لروما (390 ق.م)، وكتابات الأطباء الرومان. وكانت أبرز نتيجة توصل لها الباحثان هنا هو وجود اختلاف في تجاوب الأفراد للضغوطات النفسية أثناء القتال. وتحدَّثا عن الفرق الجوهري بين الجيش الأمريكي الحالي والجيش الروماني القديم بخصوص نوع العقاب الذي يتلقاه الجنود الذين يهربون من ساحات القتال، إذ تشتمل عقوبة الجنود الأمريكيين على الغرامة، وفقدان الرتبة، والسجن أو غيرها من العقوبات، ولكن الجندي الروماني كان يدرك أنه إذا هرب من ساحة القتال، سيكون مصيره الموت بطريقة وحشية، ويلحق العار تبعًا لذلك بأسرته، التي ستصبح منبوذة، فكان الأفضل أن يموت في الميدان بشرف لضمان حماية الدولة لعائلته.

ولم يتحدَّث المؤلفان عن مصادر الطب الروماني، ولا سيما أثر الإغريق البالغ في تطوره، وكذلك أثر حضارات الشرق الأدنى القديم، كالتأثير المصري الفرعوني الذي يبدو جليًّا في الطب اليوناني أيضًا. وتنبغي الإشارة هنا إلى أن كثيرًا من الأطباء الرومان المعروفين آنذاك كانوا من أصول إغريقية، كما كانت الممارسات الطبية والجراحية مشتقة من هذه الأصول، فكان لإنجازات الأطباء الإغريق، وعلى رأسهم أبو الطب أبقراط، دور كبير في تطور العلوم الطبية، إذ انتشرت مؤلفاته الطبية والجراحية في كافة أرجاء الإمبراطورية الرومانية.

كتب جديدة و مراجعات مقتضبة

البدر الشاطري و رضوان السيد

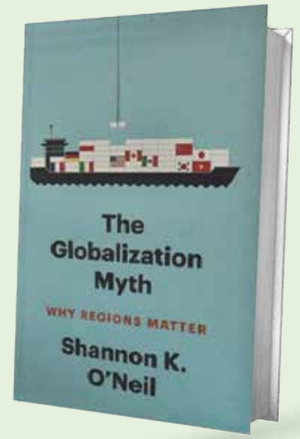

أسطورة العولمة :لماذا أصبحت الأقاليم مهمة
The Globalization Myth: Why Regions Matter

صدر مؤخراً كتاب مهم عن دار نشر جامعة ييل العريقة بعنوان "أسطورة العولمة: لماذا أصبحت الأقاليم مهمة". ويأتي الكتاب في خضم الأحداث المروعة التي مَرَّ بها العالم من صُعُود القوى الشعبويّة في الديمقراطيات الغربية مثل: الرئيس دونالد ترمب، وجائحة كورونا، إلى الحرب الروسية-الأوكرانية. والكاتبة شانون أونيل، من موقعها المرموق في مجلس العلاقات الخارجية تَرْقُب التَّغيُّرات الكبيرة التي يشهدها النظام العالمي.

وتقول الكاتبة : مهما تَكُن وجهة نظرك حول العولمة، فإنَّ ما حصل في الأربعة عقود الماضية للاقتصاد الدولي لم يكُن عولمة بل النَّحو إلى العالمية. وما حصل كان "الأقلمة" وليس العولمة. وهذا التَّفريق يتتبع مَن استطاع التَّقدُّم ومَن تأخَّر في مصاف الدول. الدول التي اندمجت مع إقليمها حَصدَت نجاحات؛ أمَّا تلك التي انعزلت أو سَعَت إلى الاندماج مع العالمية فقد تَخَلَّفَت عن الرَّكب.

الانعزالية أو السَّعي للإعتماد على الذَّات لن تُحقِّقَ منجزات اقتصادية. والعولمة غير المنضبطة لن تُحقِّقَ نجاحات أيضاً، ولكن المنطقة الوسطى التي تحتلها "الأقلمة"، بين الإفراط والتفريط، هي ما سيحقق للدول الرَّخاء الاقتصادي في هذا العالم المترابط. الجغرافيا مُتغيّر مهم في المعادلة الاقتصادية الدولية.

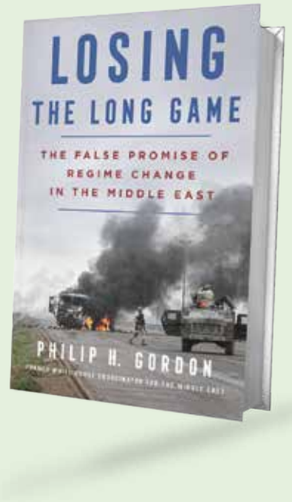

خسارة اللعبة في المدى البعيد
Losing the Long Game

فيليب جوردن باحث اشتغل في مراكز البحوث في واشنطن القريبة من السلطة السياسية. كما شغل مناصب في الإدارات الديمقراطية المُتَعاقبة المختصة بالسياسة الخارجية والأمن القومي، حيث شَغَلَ منسقاً في البيت الأبيض للشرق الأوسط في إدارة الرئيس باراك أوباما من 2013م-2015م. ويشغل حالياً مستشار الأمن القومي لنائبة الرئيس كامالا هاريس. وفي كتابه الصَّادر حديثاً "خسارة اللُّعبَة على المدى البعيد: الوعد الكاذب لتغيير الأنظمة في الشرق الأوسط"، يُحَلِّل المؤلف تاريخ سياسة الولايات المتحدة نحو تغيير الأنظمة ونتائجها العكسيَّة على المدى البعيد.

ويقول الكاتب إنَّ واشنطن انخرطت في تغيير الأنظمة منذ الحرب العالمية الثانية مَرَّةً واحدة في المتوسط كل عقد من الزَّمن في مناطق جغرافية مختلفة مثل: سوريا، مصر، العراق، أفغانستان وليبيا. وكانت دوافع واشنطن مختلفة في تغيير الأنظمة مثل: محاربة الإرهاب، محاربة الشيوعية، التَّنافس الجيوسياسي، أسلحة الدَّمار الشَّامل. كما أنَّ وسائلها اختَلَفَت في تغيير الأنظمة مثل: التَّدخُّل العسكري المباشر، الاحتلال العسكري، الدَّعم العسكري للانقلابيين، والدبلوماسية القسرية والعقوبات الاقتصادية. والمشترك الوحيد بين هذه العمليات هي النَّتائج الكارثية لسياسات قلب أنظمة الحكم والتَّداعيات غير المقصودة والتَّكاليف الإنسانية والمالية لها. وقد نتج عن كل ذلك وضع أسوأ لواشنطن من قَبْلَ الشُّروع في السياسات الانقلابية و بعدها .

ويقول الكاتب إنَّ سِرَّ اهتمامه بهذا الموضوع يعود إلى اشتغاله بموضوع تغيير الأنظمة عندما كان يَحتلُّ منصباً في إدارة الرئيس أوباما والذي–رغم واقعيته السياسية–حاول أنْ ينخرط في التَّغيرات التي حدثت فيما عُرِفَ بالثورات العربية في 2010م وما بعده. وقد شهد بشكل مباشر قصور هذه السياسات وفشلها. وبدأ اهتمامه بدراسة الحالات الأخرى التي تَورَّطت فيها الولايات المتحدة وأدَّت إلى نتائج وخيمة.

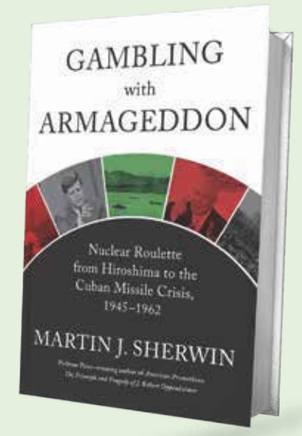

رهان أرمجدون
Gambling with Armageddon

كتـاب مهم للمؤرخ مارتن شـيروين يروي تطور الاسـتراتيجية النووية الأمريكية منـذ الحـرب العالميـة الثانيـة بعنـوان "رهـان أرمجـدون: الروليـت النـووي من هيروشـيما إلـى أزمـة الصواريـخ الكوبيـة". الكاتـب خـدم ضابطـاً فـي البحرية الأمريكيـة أثنـاء أزمة الصواريـخ الكوبية في أكتوبـر 1962م. وقد حَمَلَ شـخصياً الخطـاب السِّـرِّي للغايـة إلـى قيادتـه للاسـتعداد لمواجهـة نووية مـع الاتحاد السـوفيتي في كوبا وحول العالم. ويصـف الكاتب هذه الأزمة بوصف بليغ بأنّها أفظـع حادثـة فـي التاريخ لم تتـم. وعلى هذا الأسـاس ينطلق الكتـاب من هذه الحادثة ليروي التاريخ المخيف للاسـتراتيجية النووية. ويصف هذه الاستراتيجية بأنّهـا لعبـة قمار بكارثة نووية ولُعبَة روليت مُفزِعـة. ويقول الكاتب إنه مع تتابع الأحـداث والحصـار الـذي فرضته الولايـات المتّحدة حول جزيـرة كوبا جعل من الوضع قَابِلاً للاشتعال في أي لحظة. ورغم الحسابات الدَّقيقَة من الطَّرَفَين إلّا أنّ بين الانفجار والسَّـلام شـعرة دقيقة، ولولا الحظ لكان تاريخ هذه المواجهة مختلفـاً تمامـا. والكتاب رغم ما يرويه من أحداث مُرَوِّعـة كادت أنْ تُهلِك ما يربو على مئتي مليون إنسان، مكتوب بأسلوب شَيِّق وكأنّك تقرأ رواية.

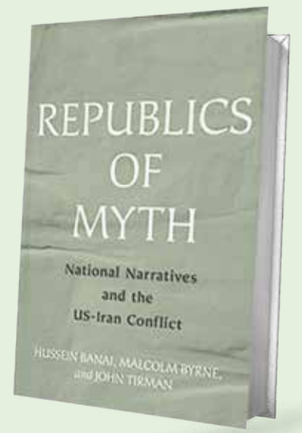

جمهوريات الأساطير والسردية القومية
Republics of Myth: National Narratives and the US–Iran Conflict

المتخصصون في العلاقات الدولية والاستراتيجية يُفَسِّرُون الرَّوابط بين الدول على أسـس جيوسياسـية، واقتصاديـة والصِّراع حـول المـوارد الطبيعية التي تسـعى لهـا الـدول -خاصـة العظمى-. يَزعُـم هؤلاء الكتـاب الثلاثة فـي كتابهم الفريـد مـن نوعـه "جمهوريـات الأسـاطير والسـردية القوميـة" أنَّ الخلاف بين البلدين والذي استَمَرَّ أربعة عقود ونَيِّفاً قائم على تصارع السَّرديَّات القومية.
يقول الكتاب إنَّ السَّـرديَّة القومية بشـكل عام يمتزج فيها التاريخ والأسـاطير والثقافـة الموروثة وشـيءٌ مـن الفلكلور لتنتـج رواية بطولية عـن الوطن الأم. وبالنسـبة للولايـات المتحدة فـإنَّ سـرديَّتها القومية قائمة علـى حماية الثغور وتوسـيع رقعة الوطن وتدجين المواطنيـن الأصليين من الهنود الحمر ومثالية عاليـة حـول الإنجـازات القوميـة. بينمـا تقـوم السـردية الإيرانيـة علـى عظـمة الإمبراطورية الفارسية.
بطبيعة الحال، الاختلاف في السـردية لا يصنع العداء بالضرورة، ولكن الأحداث التـي حصلت بين الطَّرَفَيـن والمواجهات التاريخية عززت من هذه السـردية، بل عمقـت مـن المواجهـات والتنافـر. وفـي ذلـك تفسـير محتمـل ومهـم لفهـم العلاقات بين الدول قَلَّمَا يتناوله علماء السياسة.

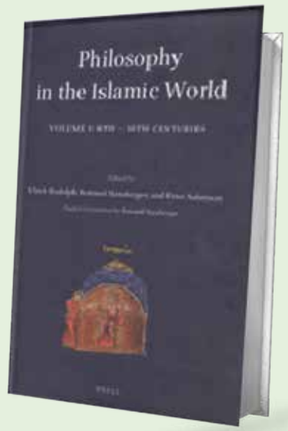

الفلسفة في العالم الإسلامي
Philosophy In The Islamic World

ما بين أيدينا من Brill تاريخٌ شـاملٌ للفلسـفة الإسلامية الوسيطة، كان مقرراً لـه أن يقـع في أربعة أجـزاء. وقد صدر الجزء الأول بالألمانيـة من تحرير أولريك رودلف المتخصص الألماني في الفلسفة وعلم الكلام في العام 2017م .وأخيراً صـدر العمـل الكبيـر بالإنجليزيـة والعمل جـارٍ على الأجـزاء الأخرى حتـى القرن التاسع عشر الميلادي.
أرّخ رودلف بدايات العمل عند الغربيين على الفلسـفة الإسـلامية في منتصف القرن التاسـع عشر عندما أثار انتباه الغربيين كتاب أرنست رينان عن ابن رشد والرشدية (1852م). فتسارعت نشرات النصوص والترجمات ودراسات التاريخ الفلسـفي. وفـي هذا المجلـد عما بين القرنيـن الثامن والعاشـر للميلاد هناك مقدمة لرودلف عن الفلسـفة الكلاسـيكية المتأخرة وطرق انتقالها إلى العرب عبر السـريان وغيرهم من حران أو الإسـكندرية أو أثينا أو القسطنطينية. ويبدأ التأليـف الفكـري والعلمـي والفلسـفي بالكندي(252هـ) الـذي كان فيلسـوفاً وطبيبـاً ومؤلفـاً لكتبٍ فـي المناظر وفي الطب والفلسـفة الأولى، وفي أعمال أفلاطون وأرسـطو. وبعد الكندي هناك حديث طويل عن مدرسـته الفلسـفية والطبية.
بعد الكندي ومدرسته يكتب مختصون عن أبي بكر الرازي الفيلسوف والطبيب. ثم يكتب عدة مختصين عن الفارابي وفكره وأعماله الكبرى. وينتهي الجزء الأول بفصل عن انتشار الفلسفة والعلوم في الإسلام.
هـو كتـابٌ مهمٌّ يغير كثيراً من أفكارنا عن الفلسـفة الإسـلامية وعن علاقاتها بالعلوم البحتة والتطبيقية وعلم الكلام.

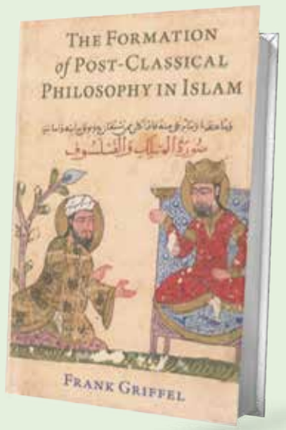

الفلسفة الإسلامية ما بعد الزمن الكلاسيكي
The Formation of Post- Classical Philosophy in Islam

هـذا المجلـد فـي تاريخ الفلسـفة الإسـلامية، يطمح مثـل مؤلفـاتٍ كثيرةٍ في السـنوات الأخيرة، إلى نقض الأطروحة الاستشراقية القائلة إنّ هجوم الغزالي (505هـ/1111م) على الفلسـفة قضى عليهـا، فلم تعـد للتطـور والازدهار في العصور الوسطى المتأخرة!
الأسـتاذ فرانك غريفل، وهو من كبـار المتخصصين بالغزالي، يدرس الأطروحة ويمارس نقداً طويلاً لها من خلال شـخصيات فلسـفية وكلامية كبرى ظهرت بعد الغزالي وبعضها كان هو نفسه غزالياً. ذكر المؤلف أنّ الفلسفة المتأخرة ظهرت في خراسان، ورعتها البلاطات السلجوقية والخوارزمشاهية والغورية. وبالطبـع كانـت هنـاك بعـض الضغـوط بدليـل إعـدام كل مـن عيـن القضاة الهمذانـي والسـهروردي. لكـن رغم ذلك فإنّ مدرسـة الاشـراق ازدهـرت. كما اشـتهر المزيـج الذي أقامه فخـر الدين الرازي بين الكلام والفلسـفة. وفي نظر المؤلف كان هناك نوع من الاستتار للفلسفة تحت مصطلح الحكمة الذي روّج له كثيرون. وقد كانت السـينوية شـديدة الانتشار طوال عدة قرون، وليس من جانب أصدقائها؛ بل من جانب خصومها أيضاً.
درس غريفـل كل المظاهـر الجديـدة وشـبه الجديـدة فـي أعمـال الفلاسـفة والمتكلمين المتأخرين. والدراسة تستحق القراءة والاعتبار.

قصة الشعار

1. إطار دائري
مرصع بـ21 نقطة

المعرفة والحكمة

كلمة Phi أصل كلمة "فلسفة" (φιλοσοφία) التي تترجم إلى عبارة "تقدير للمعرفة".

يدل الرمز" أيضا على معاني التوزان (بين كلا المحورين)، مما يقودنا إلى شبكة متماثلة المحاور.

إطار دائري من 21 نقطة يرمز إلى سنة تأسيس الجامعة،" (أيضا عام اليوبيل).

2. شجرة

تبادل الأفكار الأخوي

تشير الشجرة إلى تمثيل أديان العالم النابعة من جذع واحد متشابك.

أقوى ثلاثة جذور تشير إلى الأصول المشتركة بين معتقدات الأديان الإبراهيمية.

3. البحر الصحراء
وثلاث نقاط رئيسية

الإمارة والوطن

البحر هو جزء لا يتجزأ من قصصنا

لقد شكلت الصحراء والكثبان شخصيتنا ومن نحن.

ثلاث نقاط أساسية تمثل المناطق الثلاث للإمارة - العين والظفرة وأبوظبي - في إشارة إلى المراجع الإرشادية.

4. كتاب مفتوح

التعليم هو بذرة التفاهم

الكتاب المفتوح يوضح التزامنا تجاه التعليم بوصفه وسيلة للتفاهم والتسامح.

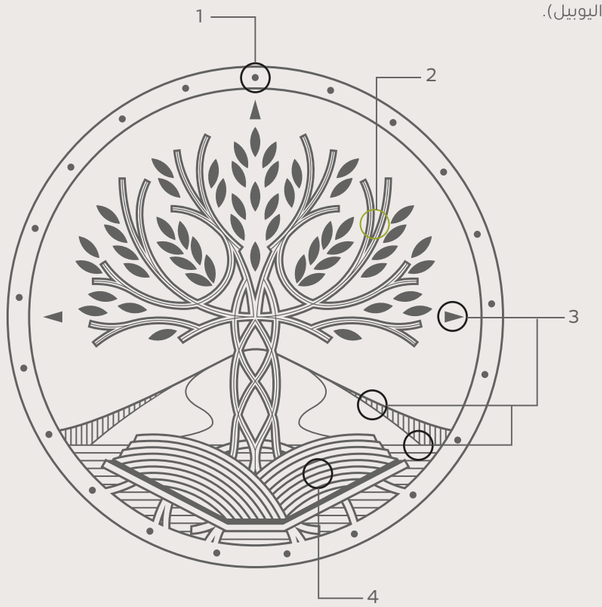

Story of the Emblem

1. Circular Frame
with 21 Dots

KNOWLEDGE
AND WISDOM

The symbol Φ also inspires graphical balance and dual symmetry (both axis), leading us to a symmetric and even grid.

A circular frame with 1 dots symbolises the establishing year of the University, 01 (also year of the UAE jubilee).

2. Tree

FRATERNAL
SHARING OF IDEAS

The Tree refers to the representation of the world religions stem ming from one same intertwined trunk.

Three stronger roots relate to the shared origins which hold the beliefs of the Abrahamic religions.

3. The Sea, The Desert and
The Three Cardinal Points

THE EMIRATE
AND THE NATION

The sea is embedded in our stories and has shaped our character and who we are.

Three cardinal points represent the 3 regions of the Emirate — Al Ain, Al Dhafra, Abu Dhabi — in an allusion to guiding references.

4. Open Book

THE SEED FOR
UNDERSTANDING

The open book illustrates our commitment towards education as a vehicle for understanding and tolerance.

الشجرة التي تتوسط شعار الجامعة هي "شجرة الأديان" التي تجسد الأصل المشترك للإنسانية في جذعها والمتفرع إلى عدة أديان ومعتقدات في فروعها، فيما تمثل أوراق الغاف المحلية قيم التسامح.

The tree at the center of the university's logo is the "Tree of Religions" which embodies the common origin of humanity in its trunk while its branches represent the diversity of religions and beliefs. The Ghaf leaves symbolize the values of tolerance.